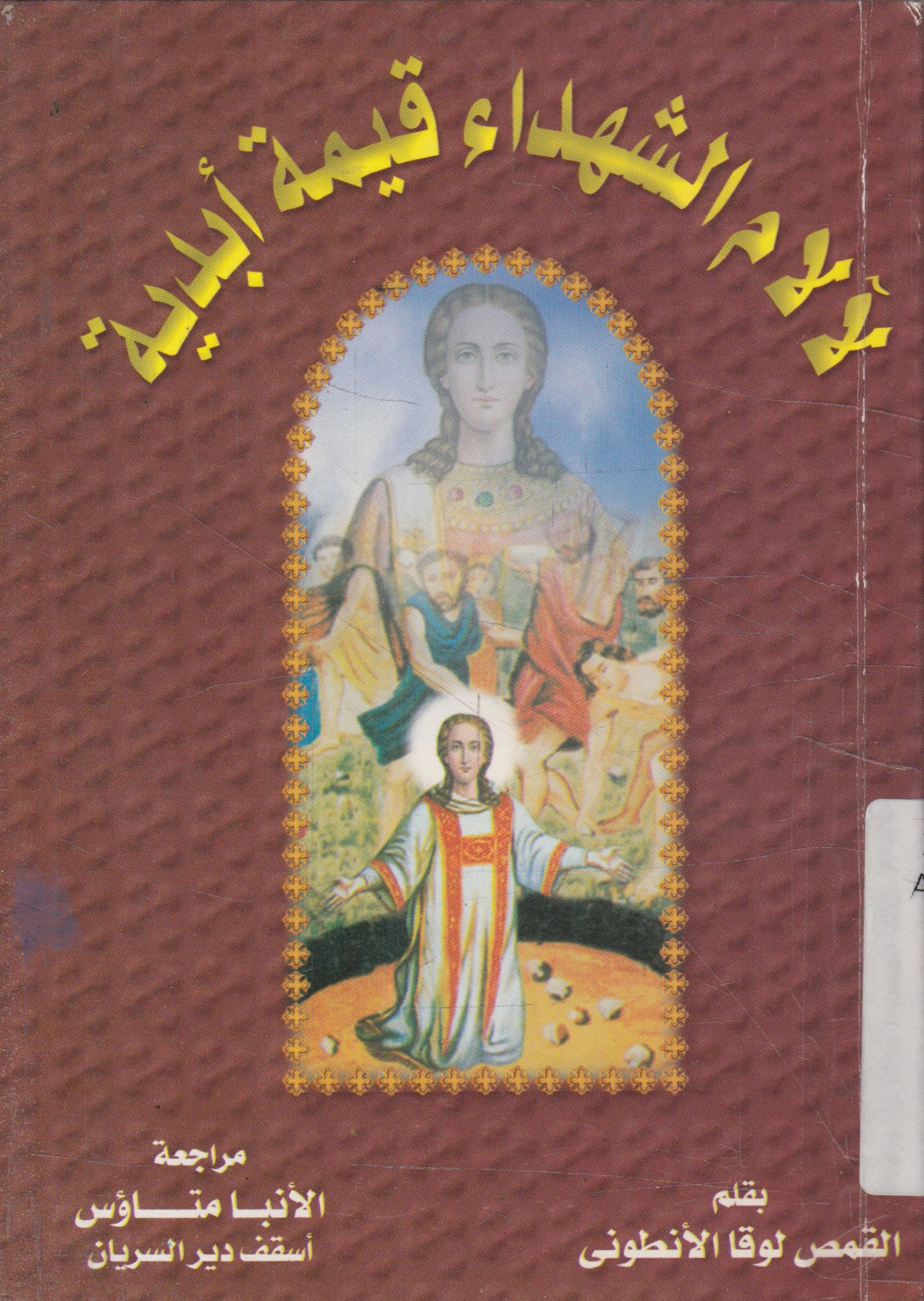

دم الشهداء قيمة أبدية
مراجعة
الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان
بقلم
القمص لوقا الأنطونى

لآلام الشهداء
قيمة أبدية

مراجعة وتقديم

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان

بقلم

القمص لوقا الأنطونى

الكتاب . لآلام الشهداء قيمة أبدية.

المؤلف : القمص لوقا الأنطونى.

الطبعة : الأولى سبتمبر ٢٠٠٠م.

المطبعة : طبع بشركة هارمونى للطباعة تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

النشر والتوزيع : مكتبة المحبة ت: ٧٥٧٧٤٤٨ - ٥٧٥٩٢٤٤

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٠/١٣٣١٧م.

الترقيم الدولى : 977-12-0527-7



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الأنبا متاؤس

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين

تقديم الكتاب

مهما كتبنا عن الشهداء فلن نوفيهم حقهم، فهم الشهداء البررة الصادقون فى حبهم وشهادتهم للمسيح ولإيمانه القويم، الذين شهدوا له وتمسكوا به رغم ما لاقوه من اضطهادات وتعذيبات، ولكنهم صمدوا تسندهم نعمة الله إلى أن نالوا أكاليل الشهادة التى لا تفنى ولا تتدنس ولا تضمحل.

حقاً إن دماء الشهداء هى بذار الكنيسة التى نمت وترعرعت حتى صارت شجرة كبيرة يتآوى فى ظلها كثيرون.

لقد أحبوا الله من كل قلوبهم ومن كل نفوسهم ومن كل أفكارهم وبكل قواهم، وفى سبيل هذا الحب استرخصوا أموالهم ومناصبهم وحياتهم ونفوسهم ودماءهم، كل هذا حسبوه نفاية لكى يربحوا المسيح ويوجدوا فيه (فى ٣ : ٧-١٠).

لقد أكرموا المسيح ورفعوا اسمه عالياً أمام الوثنيين المضطهدين العتاة الجبابرة من ولاة وملوك وأباطرة وشهدوا له حتى استشهدوا من أجله كما قال بفمه الطاهر "يلقون أيديهم عليكم ويضطهدونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى فيؤول ذلك

لكم شهادة" (لو ٢١ : ١٢، ١٣).

لذلك تكرمهم الكنيسة بإقامة الأعياد لهم وتضميخ أجسادهم بالأطياب العطرة وتقرأ سير حياتهم وتعمل لهم الأيقونات المعبرة وتضيء أمامها الشموع والقناديل وتتشفع بهم لأنهم قريبون من عرش النعمة وشفاعتهم قوية ومقبولة.

بذل الأب الموقر الراهب القمص لوقا الأنطونى جهداً مشكوراً فى تصنيف هذا الكتاب، تكلم فيه عن فلسفة الإستشهاد فى المسيحية وعن أعياد الشهداء وكيف نستفيد منها كما يجب، فنذكرهم وننظر إلى نهاية سيرتهم ونتمثل بإيمانهم (عب ١٣ : ٧).

نصلى إلى الله أن يعوض الكاتب خيراً وينفع بهذا الكتاب كل من يقرأه، بشفاعة **الشهداء القديسين الأطهار** وبصلوات أبينا الطوباوى البابا المكرم **الأنبا شنوده الثالث**. آمين

الأنبا متاؤس

الأسقف العام

٤ ديسمبر ١٩٩٠م **استشهاد القديس فيلوباتير مرقوريوس**

٢٥ هاتور ١٧٠٧ش **أبي سيفين**

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين

مقدمة الكتاب

إن أعظم عصور المسيحية هى بلا شك العصور الأولى، حيث ذاق المسيحيون صنوف العذاب أشكالاً وألواناً. فيها أهرقت الدماء، وقطعت الرقاب، وانتشرت الأشلاء، وامتزجت الأرض بدماء الشهداء.

لقد كابد المسيحيون اضطهادات عديدة عُذبوا فيها بكل أنواع العذاب. فمن جَلد وتعذيب إلى ذبح وقتل إلى غلى وعصر إلى شنق وحرق إلى غير ذلك مما يذيب الفؤاد ويفتت الأكباد ولكنهم احتملوها صابرين، وخرجوا من الصراع ظافرين.

الإضطهاد الأول : كان الإضطهاد الأول فى عهد نيرون (٥٤ – ٦٨م) ذلك الوحش الكاسر الذى أدى توحشه إلى قتل أمه وزوجته وأستاذيه. وهو الذى **ضرب عنق بولس الرسول، وصلب القديس بطرس منكساً**، وأحرق مدينة روما.

لقد كان ذلك الإضطهاد ـ عام ٦٤م ـ مروعاً جداً، لدرجة أن الوثنيين احتجوا على تلك المظالم التى أوقعها بالمسيحيين ولكن نيرون الذى كان يطرب لهلاك المسيحيين، أصدر أمره بقتل كل مسيحى حتى ولو كان طفلاً...

الإضطهاد الثاني : أما دومتيانوس القيصر فقد شن على المسيحيين اضطهاداً عظيماً سنة ٩٥م عُرف فى التاريخ "بالإضطهاد الثانى". إذ كان دومتيانوس طاغياً باغياً كنيرون، فسفك دماء الأبرياء، وأطاح برقاب المسيحيين على أعواد المشانق، ولكن التاريخ أخذ يخلد سيرة هؤلاء الشهداء فى سجل البطولة.

ومن الذين عذبوا فى هذا الإضطهاد زوجة دومتيانوس لأنها اعتنقت المسيحية. كما أمر بإحضار يوحنا الرسول من أفسس. ثم طرحه فى خلقين مملوء بالزيت المغلى، ولما لم يؤثر فيه الزيت، نفاه (القيصر) إلى جزيرة بَطمس حيث كتب الرسول سفر الرؤيا ثم أعيد من منفاه إلى أفسس حيث تنيح بها سنة ١٠٠م.

الإضطهاد الأخير (الأعظم) : ثم جاء دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) فأثار "الإضطهاد الأخير الأعظم" ولم يكن غرضه قتل المسيحيين فحسب بل أن يمحو المسيحية من الوجود. ففى ٢٤ فبراير سنة ٣٠٣م أصدر أمراً عاماً باضطهاد المسيحيين فى جميع أنحاء المملكة ولاسيما فى القطر المصرى. فهدمت كنائسهم ودمرت بيوتهم ونهبت أموالهم. ولكنهم استعذبوا الموت واستلذوا به لأنهم كانوا يعلمون أن دماءهم كالبذار كلما انتشرت على الأرض نبتت من جديد. ولاعجب ففى مصر وحدها استشهد ٨٤٠ ألف شخص فأعتبر

المسيحيون ذلك التاريخ بدءاً لتقويمهم. (أى التقويم القبطى الجديد).

صمد المسيحيون كالطود الراسخ لا يؤثر فيهم تهديد ولا يرجعهم عن عزمهم وعد ولا وعيد.

حاربوا دقلديانوس والذين سبقوه بسيف الإيمان الذى لا يعتريه الفلول. فضحوا بأنفسهم وبأرواحهم فى سبيل دينهم، وكانت كلماتهم الأخيرة وهم فى ميدان الإستشهاد، دعوة إخوانهم بالثبات على العقيدة وعدم الانخداع بوعود الوثنيين.

قسطنطين الكبير : ثم تولى قسطنطين الكبير الحكم، فألغى القوانيين المضادة للمسيحية، وفتح الكنائس وأطلق المسجونين وأباح اعتناق المسيحية. وفى سنة ٣١٣ م أصدر أمره الشهير "بأمر ميلانو" الذى أباح التدين بالمسيحية وهكذا تحولت أعواد المشانق إلى أعمدة رفع عليها علم المسيحية ظافراً.

هذه الإضطهادات الكثيرة تحملها أجدادنا فى سبيل المسيحية. فاقتيدت مواكبهم إلى ميدان الإستشهاد أفواجاً بعد أفواج. فامتزجت كل حفنة من التراب بدم شهيد، واختلطت كل قطعة من الأرض برفات قتيل من الشهداء.

ـ فيا أيها الشهداء يا من حسبتم أرواحكم رخيصة فى سبيل الدين والإيمان.

ـ يا من خلد التاريخ سيرتكم الطاهرة فسطرها فى صفحات الخلود.

ـ يا من نلتم إكليل الجهاد، وظفرتم بفردوس النعيم بعد أن أرتوت الأرض بدمائكم الطاهرة تحية وإجلالاً وإكراماً لأرواحكم الطاهرة.

حقاً أنك سترى أمامك مائدة روحية دسمة تشبع نفسك وتغذى روحك وتجذبك إلى حياة روحية أفضل، وقتها ستعرف لماذا إنساق العالم المسيحى كله فى كلِ زمانٍ ومكان وراء هؤلاء الشهداء. الذى أرجو بشفاعتهم أن يتقبل صلوات وطلبات كل من يتشفع بهم وأن يشملهم الرب بأبوته الحانية ويرعاهم بنعمته الإلهية ويحفظهم فى اسمه القدوس. بصلوات صاحب القداسة البابا **الأنبا شنوده الثالث** وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل **الأنبا متاؤس** الأسقف العام

ولإلهنا كل المجد والإكرام إلى أبد الآبدين. آمين

القمص لوقا الأنطونى

أول أغسطس ١٩٩٠ **تكريس بيعة الشهيد مرقوريوس**

٢٥ أبيب ١٧٠٦ **أبي السيفين**

الفصل الأول

عيــــد الشـــــهداء

نحن نحتفل فى هذه الأيام بعيد الشهداء وكنيستنا القبطية لها ملامح تتميز بها عن كنائس كثيرة، فقد قدمت للعالم معرفة إيمانية أمينة، وحفظت الإيمان الصحيح لكل كنائس العالم.. وتميزت أيضاً بأنها كنيسة نسكية قدمت للعالم قديسين ونساك.. ويظهر هذا فى آباء الرهبنة، وأفواج من العلمانيين الأقوياء..

وقدمت أيضاً كينستنا القبطية شهداء كثيرين.. لذلك فإن الإيمان والعمق الروحى والشهادة، ملامح تميزت بها كنيستنا...

لذلك ليس غريباً أن يكون التقويم القبطى مرتبطاً بعيد الشهداء، أو عيد النيروز.

+ دانيال النبى :

وعندما نتأمل فى الكتاب المقدس نجد أن فى سيرة دانيال ارتباطاً كبيراً بين هذه الشخصية الكتابية، وسير الآباء الشهداء.

وقصة دانيال اعتدنا أن نقرأها فى أيام النيروز.. كانت لدانيال النبى ملامح تميزٌ بها ـ سلوكه.. كان دانيال متفوقاً فى قصر الملك، لذلك

حسده الوزراء ورجال الحاشية وأرادوا أن يجدوا فيه علة لكى يدينوه.. "فلم يقدروا أن يجدوا فيه علة ولا ذنب، لأنه كان أميناً، ولم يوجد فيه خطأ أو ذنب" (دا ٦ : ٤).

كان دانيال متغرباً فى أرض السبى. فالشعب عندما سُبى إلى أرض الكلدانيين، كان دانيال والثلاثة فتية (شيدرخ وميشخ وعبدناغو) من ضمن المسبيين. فعاش دانيال فى أرض غريبة وبالرغم من أنه كان بعيداً عن أجداده. آبائه. شعبه. الهيكل. إلا أنه لم يكن غريباً عن الرب.

وبالرغم من أنه كان مِسبياً فى أرض غريبة، إلا أنه كان أميناً.. ولم يتعلم من الذين أرادوا أن يُوشوا به إلى الملك.

وبالرغم من أن كل الذين حوله كانوا يشجعونه على أن يسلك فى عدم الأمانة، إلا أنه ظل أميناً فى كل شيء.

+ **دانيال فى الجب :**

ووضع دانيال فى الجب ولم يتذمر. كان ممكن أن يقول: "بقى يا دانيال تبقى أمين ولا يوجد فيك خطأ ولا ذنب، وتنحط فى الجب. طيب أعمل زى ما بيعمل الناس. وأسرق زى بقية الناس. أتخلى عن عبادة الإله الحى، لكى أنجو من الجب".

ولكن أولاد الله لا يتعاملون مع الأشخاص ولا مع الأحداث.

ولكنهم يتعاملون من خلال أمانتهم. كقول الكتاب المقدس: "كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة" (رؤ ٢ : ١٠). يتعامل بالأمانة لمن يعمل معه.. الأمانة للوطن الذى يخدمه.. الأمانة فى مبادئه الشخصية.. وفى عدم تركه للإيمان.

لذلك رفع دانيال يديه بالصلاة للإله الحى كقول الكتاب المقدس: "فوجهت وجهى إلى الله السيد، طالباً بالصلاة والتضرعات، بالصوم والمسح والرماد" (دا ٩ : ٣).

إن كنت أنا لست أميناً لله فى عبادتى، سوف لا أكون أميناً لداريوس الملك. ولن أكون أميناً للوطن الذى أعمل فيه.

وإن ابتعدت عن الرب، سوف أفقد كل مقومات الأمانة. لذلك كان دانيال مرتبطاً ارتباطاً حقيقياً بعبادة الإله الحى. وكان يعرف أن هذا الإله الذى أحبه، قادر على كل شىء.

أجدادنا عاشوا أمناء فى كل شىء. مهما كانت الأمانة تكلفهم. أمناء فى معاملاتهم لكل من يتعامل معهم. وكانوا يُظهرون حباً غير عادياً لكل الناس لدرجة أن هذا الحب كان يحول كثير من المضطهدين إلى مؤمنين. كان الحب هو طريق الشهادة للمسيح. لم تكن لهم فرصة للكلام مع أحد، ولكنهم كانوا يوصلون خدمتهم للناس بالمحبة. بالقدوة الحسنة.

كانوا يقولون للحراس: "لو سمحت قبل ما أموت أصلى". ليس الصلاة من أجل أن ينجيهم الله من الموت، ولكن من أجل الذين ينفذون فيهم حكم الموت.

وكان إستفانوس ـ (أول الشهداء) ـ أول من صلى من أجل راجميه "ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يا رب لا تقم لهم هذه الخطية" (أع ٧ : ٦).

كان قلب إستفانوس ممتلىء حباً لكل نفس حوله. هذه هى المسيحية الحقيقية. لذلك عاش آباؤنا متمتعين بكل سلام كامل. تركوا العالم بكل مباهجه، واشتهوا السماء بكل مواعيدها.

الإنسان القلقان تعبان، لأن نفسه فى حاجة مش عارف يطولها أو يوصل لها. لكن صاحب السلام مش قلقان، لأن كل اشتياقاته فى السماء.

دانيال، وكل أجدادنا ظلوا أمناء. لم يكن فيهم ذنب ولا إثم. وصارت روح العبادة ظاهرة فى حياتهم.

كان الله يحب دانيال لأمانته. ولكن الوشاة دبروا المكيدة لكى يوقعوا بدانيال. إنهم متأكدين من أن دانيال سوف لا يترك إلهه مهما كانت الظروف، وكما يقول الكتاب المقدس: "إن جميع وزراء المملكة والشحنة

والمرازبة والمشيرين والولاة قد تشاوروا على أن يضعوا أمراً ملكياً ويشددوا نهياً بأن كل من يطلب طلبة حتى ثلاثين يوماً من إله أو إنسان إلا منك أيها الملك يطرح في جب الأسود" (دا ٦ : ٧).

حسد الوزراء وكل حاشية الملك دانيال، لأنه مرتبط بإلهه. لم يجدوا فيه علة أخرى من جهة المملكة كما يذكر الكتاب المقدس: "إن الوزراء والمرازبة كانوا يطلبون علة يجدونها على دانيال من جهة المملكة فلم يقدروا أن يجدوا علة ولا ذنباً، لأنه كان أميناً، ولم يوجد فيه خطأ ولا ذنب، فقال هؤلاء الرجال لا نجد على دانيال هذا علة، إلا أن نجدها من جهة شريعة إلهه" (دا ٦ : ٤).

ولكن دانيال، بالرغم من هذه المكيدة "ذهب إلى بيته وكواه مفتوحة في عليته نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم، وصلى، وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك" (دا ٦ : ١٠).

الملك قال له: "احنا حبايب، بس مش عايزك تصلى لإلهك".

قال له دانيال: "لا يا جلالة الملك. لا أستطيع".

ويقول الكتاب المقدس: "فلما سمع الملك هذا الكلام اغتاظ على نفسه جداً وجعل قلبه على دانيال لينجيه، واجتهد إلى غروب الشمس لينقذه. فاجتمع أولئك الرجال إلى الملك وقالوا للملك اعلم أيها

الملك.. إن شريعة مادى وفارس هى أن كل نهى أو أمر يضعه الملك لا يتغير، حينئذ أمر الملك فأحضروا دانيال وطرحوه فى جب الأُسود، أجاب الملك وقال لدانيال: إن إلهك الذى تعبده دائماً هو ينجيك" (دا ٦ : ١٤ – ١٦). كان الملك حزيناً من أجل دانيال، لأنه كان يحبه من أجل أمانته. وهو عارف أنه ليس فيه خطأ أو ذنب وله خدمات كثيرة فى القصر وفى المملكة.

وضعه فى الجب لكى يُسكت الحاسدين والحاقدين فقط!!.

ويقول الكتاب المقدس: "حينئذ مضى الملك إلى قصره، وبات صائماً. وطار عنه نومه ثم قام الملك باكراً عند الفجر، وذهب مسرعاً إلى جب الأُسود. فلما اقترب إلى الجب نادى دانيال بصوت أسيف.. يا دانيال عبد الله الحى هل إلهك الذى تعبده دائماً قدر أن ينجيك من الأُسود، فتكلم دانيال مع الملك: "يا أيها الملك عش إلى الأبد" (دا ٦ : ١٨ – ٢١).

عجيب يا دانيال.. بتقول للملك الذى رماك فى الجب "عش إلى الأبد"؟؟

نعم.. إننى لا أكنّ له سوى أن أدعوا له أن يعيش إلى الأبد. لأننى فى الجب اختبرت فى وسط الأُسود كيف أن الرب يعتنى بى.. لذلك أنا أصلى له أن يعيش...

إننى أدرك أنه عندما يعيش لابد أنه يعلن له الرب إننى برىء.

عش إلى الأبد.. يا سلام.. صلاة بيقولها من قلبه وهو فى الجب.

لم يقل له: "إن الرب نجانى بالغيظة فيك"...

بل قال له: "عش إلى الأبد".. وعندما أخرج من هذا الجب لن أكون إلا أميناً معك، لأنى إنسان أحيا لله، وليس لأجل إنسان.. لذلك أتمسك بالأمانة، حتى ولو كان كل من حولى غير أمناء.

إن دانيال عندما يدعو لداريوس بأن يعيش إلى الأبد إنما هو يقدم شكراً لله. لأنه من خلال هذا الحكم استطاع دانيال أن يختبر عمل الله فى حياته.

إن دانيال كان وهو فى الجب أكثر سعادة مما هو خارج. لأن الإله القادر على كل شىء يعلن له ذاته فى الجب.

إن دانيال عندما يقول للملك: "عش إلى الأبد" إنما يترجم وصية الحب التى يعلنها الإله لكل الناس. إنه يعبرّ عن قلب لا يحمل أية كراهية ولا حقد ولا شهوة مضرة لداريوس فى ذلك الزمان.

فالوصية توصى بأن نصلى من أجل الجميع ـ ونحب كل الناس، نحب القريب والبعيد نحب الصديق والعدو. نحب العادل والظالم. نحب الكل بلا حدود.

وهكذا كان أجدادنا الشهداء فى معاملاتهم مع الأباطرة فى زمانهم. كانوا لا يحملون إلا كل الحب لهم. ولم تخرج من فمهم كلمة ردية. بل كانوا يذهبون إلى ميدان الشهادة بفرح. ويخرج دانيال من الجب ليخدم فى القصر داريوس مرة ثانية. حاجة عجيبة. كان ممكن أن دانيال يقول: "كفاية اليومين اللى مكثتهم فى الجب وأنا مظلوم".

هذه هى القوة المسيحية. أنه يقول للملك "عش إلى الأبد" ثم يخدم بأمانة فى القصر. إن إلهى لم يعلمنى أن أعاملك بمثل ما عاملتنى، بل أعاملك بأمانة.

+ عش إلى الأبد :

دانيال يقول للملك "عش إلى الأبد" لأنى من خلالك استطعت أن أتصادق مع الأُسود.

عش إلى الأبد... لأنى من خلالك اختبرت عمل الله.

عش إلى الأبد... لأنى من خلالك اختبرت أن الرب لابد أن يكون أميناً إلى الأبد.

عش إلى الأبد... لأننى من خلالك استطعت أن أستمتع بسلام عظيم لم أستمتع به من قبل.

عش إلى الأبد... لأننى من خلالك استطعت أن أقدم مصباحاً نيراً. ليس للذين حولى فقط ـ بل للبشرية كلها على مدى الأجيال.

هكذا عاش آباؤنا الشهداء. أمناء مع كل من يتعاملون معهم. وفى حب كامل لكل الناس. ووفاء كامل مع كل الفئات. لذلك كان يتمجد الله فيهم. ويظهرون كأولاد للإله الحى الذى أحبهم حتى المنتهى.

وكانت حياة الصلاة هى الترجمة الوحيدة لكل ما يحدث لهم. بطرس كان فى السجن والكنيسة كلها فى الخارج تصلى من أجله. وأنقذه ملاك الرب من السجن (أع ١٢ : ٥).

بولس وسيلا يرتلان فى السجن كما يذكر الكتاب المقدس: "ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما، فحدث بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن. فانفتحت فى الحال الأبواب كلها وانفكت قيود الجميع" (أع ١٦ : ٢٥، ٢٦).

لذلك أعلن يعقوب الرسول أن الصلاة "تقتدر كثيراً فى فعلها" (يع ٥:١٦).

إن اختبار الإستجابة، واختبار الإستمتاع بالسلام. اختبار الشهادة لمجد الرب كلها مرتبطة بروح الصلاة.

لذلك اختبرت الكنيسة الأولى روح الصلاة واستجابة الرب لهذه الصلوات. وهذه هى مدرسة السيد المسيح له المجد، الذى كان يعلمنا الصلاة فى كل وقت ـ وقال: "اسهروا وصلوا" (مت ٢٦ : ٤١) وقال أيضاً: "صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم" (مت ٥: ٤٤).

ألم تنقل الصلاة الجبال؟

ألم تسد الصلاة أفواه الأُسود؟

ألم تخرج الصلاة بطرس من السجن؟

لذلك نحن فى أعياد الشهداء نتذكر فيها عمل الصلاة فى حياة أجدادنا الشهداء كيف أنهم من خلال الصلاة أظهروا حبهم للآخرين. وتعاطفهم مع كل إنسان فاستمتعوا بالسلام الحقيقى الذى يملأ قلوبهم وعقولهم.

ولربنا المجد إلى الأبد آمين.

الفصل الثانى

السنة القبطية للشهداء الأطهار

الأقباط والمصريون بمعنى واحد فالكلمة لا تدل على الديانة وإنما تدل على الجنسية.

والأقباط جمع شائع للكلمة الأصلية وهى الصحيحة ـ قبط ـ ترتد فى أصلها إلى الكلمة اليونانية EGYPTOS ومنها الصفة EGYPTIOS التى أطلقها اليونان على سكان البلاد الأصليين ـ وعنها أخذ الرومان اللفظ اللاتينى Aegyptus والفرنسيون Egypte والألمان Agypten والإنجليز Egypt وغيرهم من شعوب العالم فى مختلف اللغات.

١ ـ اللغة القبطية :

فالتاريخ القبطى هو التاريخ المصرى سواء بسواء. واللغة القبطية هى بعينها اللغة المصرية فى آخر مرحلة لها أو كانت هى اللغة العامية التى يتكلم بها الشعب المصرى فى المحافل والأسواق والبيوت. أما اللغة الفصحى القديمة فأصبحت قاصرة على المعابد والمكاتبات الرسمية.

٢ ـ التاريخ الدينى للأقباط :

دخلت المسيحية إلى مصر على يد القديس مرقس الرسول فى نحو منتصف القرن الأول للميلاد ـ وهو أحد رسل السيد المسيح السبعين ـ

جاءها من بلاد فلسطين مدفوعاً بحمية روحية وغيرة دينية ليدعو أهلها إلى ترك الوثنية واعتناق المسيحية التى كان يؤمن بها هو نفسه أشد الإيمان.

ولقد كانت مهمته عسيرة غاية العسر، لأن المصريين كانوا قوماً متدينيين، وقد تعلقوا بآلهتهم، وأحبوا ديانتهم، وتمسكوا بطقوسها، ولم يأخذوا الدين أخذاً سطحياً وإنما تعمقوه، وتشبعوا بحقائقه، وبلغوا مرتبة عالية من الروحانية تنبئ كتاباتهم على معابدهم، وعنايتهم بمقابرهم أو مساكنهم فى الحياة الأخرى. وقد تفننوا فى عمارتها وفى تزيينها وتزويدها بكل ما يلزمهم فيما بعد الموت. فجاءت معابدهم ومقابرهم آية فى الفن، وبرهاناً على يقينية إيمانهم بالآخرة وبالحساب والثواب والعقاب. ولقد ألهمتهم عقيدتهم الدينية العميقة اختراع وسيلة التحنيط ليحفظوا أجساد موتاهم من الفساد، ليبقى لها حقها فى حياة الآخرة، كما ألهمتهم كثيراً من المعارف فتقدموا فى علوم الفلك، والهندسة، والطب، والفسيولوچيا، والتنجيم، والموسيقى.

وقد شهد هيرودوت المؤرخ اليونانى بتدين المصريين، كما اعترف بفضل المصريين على اليونان أنفسهم من الناحية الدينية. وقال أن المصريين هم الذين علموا اليونان آلهتهم وديانتهم.

ومع أن التدين المصرى كان عقبة فى قبول المسيحية الناشئة، إلا أنه كان فى نفس الوقت سبباً فى أن المصريين قبلوا المسيحية بحماس واضح، حتى أصبحت مصر بعد قليل من الزمان، مركزاً ممتازاً للمسيحية فى العالم بأسرة. ذلك أن المصريين يهتمون بالدين وأصوله عميقة فى نفوسهم، وهو مصدر كبير من مصادر الإلهام فى كافة وجوه نشاطهم. أو قل كان الدين هو الملهم الأكبر، ولعله الملهم الوحيد لنشاطهم الفكرى والأدبى والاقتصادى والفنى. وهذا هو سر مقاومتهم للمسيحية فى مبدأ الأمر، وتحمسهم لها بعد ذلك. ولو كانوا شعباً لا يعنيه الدين لما أكترثوا لها ولما قاوموها أو انتصروا لها.

ويلغ من حماسة المصريين لديانتهم الجديدة أنهم تشبعوا بها، ومارسوا طقوسها، وأخذوا ينشرون الدعوة لها بين أقاربهم وأصدقائهم، كما أخذوا يمارسون تعاليمها فى حياتهم حتى تأثروا بها فى معاملاتهم. ومما نقله المؤرخون أن هذا الأثر كان من الوضوح لدرجة أن الوثنى إذا قابل وثنياً آخر وقد تغير سلوكه وارتسمت على وجهه علائم الوداعة والهدوء والاتزان، كان يحييه بالسؤال (هل قابلت اليوم مسيحياً؟).

ومع ذلك ظل عدد كبير من القبط، وثنين، وعلى الخصوص فى قرى بلاد الصعيد. وأخذت المسيحية تنتشر بين الناس رويداً رويداً ولم

تعترف الدولة بالديانة المسيحية كديانة رسمية للبلاد إلا ابتداء من سنة ٣٨١ ميلادية فى أيام الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير.

ويعد القديس مرقس الرسول هو مؤسس الكنيسة المصرية أو القبطية، بعد السيد المسيح له المجد ـ وقد استشهد القديس مرقس فى مدينة الإسكندرية فى عيد القيامة سنة ٦٨ للميلاد.

وخلفه من بعده عدد من الباباوات بلغوا جميعاً مائة وستة عشر بطريركاً آخرهم البابا شنوده الثالث الذى اعتلى كرسى البابوية فى يوم الأحد ١٤ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٧١ أطال الله حياته.

٣ ـ التقويم القبطى :

كان أباطرة الرومان وحكامهم ممن أرادوا أن يبطشوا بالمسيحية يوجهون إلى المصريين عناية خاصة، اعتقاداً منهم أن رأس الحية فى مصر، وأن بالقضاء على المسيحية فى مصر يقضى عليها فى سائر أنحاء الإمبراطورية الواسعة.

ولعل أشد الإضطهادات قسوة على المصريين الإضطهاد الذى أثاره دقلديانوس سنة ٣٠٣م. وقد تميز اضطهاده عن الإضطهادات التى أثارها تسعة من الأباطرة الذين قبله، بأنه أعنف اضطهاد عرفه الأقباط فى تاريخهم الطويل. وكانت خطة الإمبراطور القضاء على المسيحية هى

: هدم الكنائس، وحرق الكتب المقدسة، وقتل الكهنة، وإبادة الأقباط بالسيف بعد تعذيبهم بمختلف وسائل التعذيب. وقيل أنه أقسم أنه لابد أن يأتى إلى مصر ويأخذ فى قتل المسيحيين بنفسه، ولن يكف عن ذبحهم حتى يخوض جواده إلى ركبتيه فى بحر من دماء المسيحيين. وجاء فعلاً إلى مصر وقتل عدداً كبيراً من المسيحيين وحدث أن كبا جواده. فتخضمت ساقاه وركبتاه فى دماء المسيحيين التى جرت على الأرض، فاعتقد أن الآلهة حققت له شهوته، فتوقف عن القتل بعد أن شعر بالإعياء. فأُحصِىَ عدد المسيحيين الذين قتلوا فى هذا اليوم فبلغوا أكثر من ثمانمائة ألف (٨٠٠,٠٠٠) قتيل.

وسجل الأقباط هذا اليوم من تاريخهم وجعلوه بدءاً لسنتهم المصرية (أول توت) وكان ذلك فى ٢٩ من أغسطس لعام ٢٨٤م. ويعرف هذا التاريخ إلى اليوم بتاريخ الشهداء.

الفصل الثالث

أخميم .. أرض الإيمان

كل شبر فى هذه الأرض ينطوى على أثر .. أنها مدينة أخميم التى وصفت فى صدر العصر المسيحى بأنها أرض الإيمان.. والتى نُفِىَ إليها نسطور دون خشية على أهلها بأن يفتنهم ببدعته فقد كانوا معروفين بقوة إيمانهم الذى يستعصى على محاولات بث البدع والهرطقات.

بين يوم وآخر يُكشف فيها عن أكثر من أثر، وفى الأربعينيات حينما بدأ نيافة الأنبا بطرس مطران أخميم السابق يزيل أنقاض مبنى المطرانية القديم، وقبل أن يشيد المبنى الجديد فى أحد أطراف المدينة وسط الحقول الممتدة إلى مشرف سوهاج .. شوهد وقتها أسفل جدران المطرانية القديمة هوة عميقة ضاربة فى أعماق الأرض تتخللها جدران أخرى لمبانٍ أقدم عهداً، عثر فيها نيافة الأنبا بطرس على بقايا محتويات كنيسة قديمة.

أخميم ومعالمها الأثرية

إن مدينة أخميم تعوم فوق مدينة بل مدائن أقدم تتكون من طبقات، مما تعاقب على مدى القرون من كنائس وأديرة ومقدسات.

وكانت لها شهرة بما أحتوته من معالم أثرية وبما خلفته من سير شهدائها وقديسيها.

إن الشهداء يعدون بالألوف، وفى عصر الإستشهاد الأول كانت تحتويهم مقبرة جماعية. ثم نقلت أجسادهم إلى دير بُنِىَ خصيصاً بحاجر المدينة وعرف باسم دير الشهداء.

وهؤلاء الشهداء لم يكن ميسوراً التعرف إلى أسمائهم، فقد كانوا يتقدمون إلى الموت فرحين فى أفواج مختلفة. لم تكن الفرحة للقاء ربهم هى وحدها التى أنستهم ذكر أسمائهم فأنهم كانوا ينكرون ذواتهم ويجاهرون بشئ واحد هو الإيمان بالمسيحية.

ومازال فى أخميم مساحة باقية أمام كنيسة القديس أبى سيفين العتيقة الشهيرة تحتفظ إلى اليوم باسم (ساحة الشهداء).

الفصل الرابع

موقع دير الشهداء

يقع هذا الدير على مسافة ٥ كم شرق قرية الحواويش التى تبعد ١٢ كم جنوب شرق أخميم.

والكنيسة التى تتوسط مبانى الدير تلاصق الحائط الشرقى وتتكون من ثلاث هياكل الهيكل الأوسط نصف دائرى وتزينه الحنيات الصغيرة والصحن مقسم إلى قسمين (خورسين) بحائط به فتحة كبيرة فى المنتصف ومغطى بالقباب. أما المبانى حول الكنيسة فمغطاة كلها بالقباب المنخفضة والقبوات من الطوب اللبن.

حول الدير توجد مدافن أثرية كثيرة استخرج منها فى زمن سابق كثير من النسيج القبطى الرائع المشهور الذى يملأ عدداً من متاحف العالم.

وهذا المكان الذى دفن فيه شهداء أخميم مثل دير شهداء إسنا.

الفصل الخامس

شهيد دير الشهداء

إن الله له شهود فى كلِ زمانٍ ومكان، يشهدون له بأعمالهم وبأقوالهم أيضاً. وبلادنا المصرية العريقة بكل مدنها وقراها وأديرتها غنية بهؤلاء الشهود لله والشهداء لأجل الإيمان، والذين عاشوا حياة القداسة بكل ما تحمل من معنى، فلا تكاد توجد مدينة أو قرية ليس لها تاريخ مجيد ورجال ونساء وأطفال نشأوا على أرضها وجاهدوا الجهاد الحسن وحفظوا الإيمان، وأخيراً نالوا إكليل البر.

ودير الشهداء بمركز أخميم محافظة سوهاج له نصيب وافر فى هذا المضمار، فلكل مدينة وقرية ودير لهم تاريخهم المجيد العامر بالأبناء البررة الذين عاشوا حياة القداسة وأصبح اسمهم على كل لسان مثل القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب الرهبان ومؤسس الرهبنة، والشهيد العظيم يوليوس الأقفهصى كاتب سير الشهداء الذى حفظ لنا هذا التراث العظيم الذى هو سير الشهداء فى العصر الرومانى، وغيرهم كثيرون.

فبنعمة السيد المسيح له المجد، أود أن أصف رأس شهيد دير الشهداء التى وجدت أثناء الحفر لغرس شجرة زيتون فى شهر مارس ١٩٩٠ م فى عهد الأب الموقر القس غبريال الأنطونى أمين الدير كما يأتى :

الرأس كاملة لم تمتد إليها يد البلى لشاب فى العشرينات من عمره والشعر ثابت كما هو ـ لم يسقط منه شعرة واحدة ـ بنى اللون ويميل إلى الحمرة والبشرة تقترب من الطبيعية ـ حليق الذقن ـ أسنانه ناصعة البياض وكاملة العدد. تقاطيع وجهه جميلة.

لابد وأنه من الذين اعتنقوا المسيحية ولكن الوالى لم يتركه وحاله، ولم يستطع أن يعيد الشاب إلى عبادة الأوثان فلذلك أمر السياف بقطع الأذن اليسرى أولاً ـ ولكن الشاب لم يستجب لأوامره بعد قطع الأذن.

أغتاظ الحاكم فأمر بكسر أنفه ـ وكسرت الأنف وبقى الشاب على إيمانه، فأمر الحاكم بقلع عينه اليمنى وأدخل مسمار خشبى تحت الحاجب الأيمن فخرجت مقلة العين من تجويفها وما زالت مدلاة على الخد الأيمن وتشبه الليمونة الجافة وما زال المسمار مدكوكاً أسفل الحاجب يشهد على ظلم الرومان الوثنيين.

ازداد تمسك الشاب بحبيبه يسوع فما كان من الحاكم إلا أن أمر بسحب لسان البطل خارج الفم وقطعه.

لقد رأيت بعينى الشفتين مفتوحتين واللسان المقطوع نصفه الأمامى بينهما وذلك عندما سعدت ببركة حمل هذه الرأس المقدسة على يدى وكذلك كما رأتها الجموع الكثيرة من المحبين لأولئك الشهداء وهى

الآن كائنة بدير الشهداء بأخميم.

شهية وعطرة هى سير القديسين والشهداء، أنها كالماء العذب للغروس الجدد، تنمى فى نفوسنا حب الله وحب الفضيلة والتمسك بالإيمان إلى النفس الأخير، وهم غلبوه (غلبوا الشيطان) بدم الحمل (دم المسيح) وبكلمة شهادتهم، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت (رؤ ١٢ : ١١). من أجل ذلك هم فى السماء واقفين أمام العرش الإلهى ومتسربلين بثياب بيض لأنهم غسلوها وبيضوها فى دم الحمل، ويخدمون الله فى هيكله نهاراً وليلاً وهو يرعاهم ويمسح كل دمعة من عيونهم (رؤ ٧).

بركة صلوات شهيد أخميم فلتكن معنا آمين.

الفصل السادس

المذابح الجماعية للشهداء

تعرض المسيحيون فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ولا سيما فى مصر. لمذابح جماعية كان يستشهد فيها المئات وأحياناً الآلاف دفعة واحدة. وقد سبق أن رأينا أن الإمبراطور دقلديانوس صمم ألا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه، وفعلاً نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه فى بحر من دماء الآلاف من الشهداء الذين ذبحهم جنوده فى يوم واحد. ويسجل المؤرخ يوسابيوس القيصرى وهو يصف بعض فظائع ذلك العهد التى شهدها بنفسه إذ يقول "أنه يعسر على الكاتب الماهر أن يصف ما تجرعه الشهداء فى مصر من ألوان العذاب القاسية والآلام التى تشيب لهولها النواصى" ثم يقول "أننى شاهدت بعينى بينما كنت واقفاً بالقرب من الجلادين جمعاً غفيراً من الأقباط حشدهم الحكام لينالوا الشهادة، وقد كانوا من الكثرة بحيث أن السيف قد تلم حده من كثرة ما قطع من الرقاب. وكذلك الجلادون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين، فكانوا يستريحون من ساعة لأخرى ريثما يستردون أنفاسهم."

ومن المعروف أن شهداء مصر فى عهد دقلديانوس وحده بلغوا مئات

الألوف ولذلك بدأ الأقباط تقويمهم ـ كما سبق أن رأينا ـ بسنة ٢٨٤ للميلاد، وهى السنة التى ارتقى فيها دقلديانوس عرش الإمبراطورية الرومانية، واعتبروها السنة الأولى فى تاريخهم الذى أصبح يدعى تاريخ الشهداء، ويبدأ من ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤ ميلادية.

ومن ثم نورد فيما يلى بعض أمثلة من مذابح الشهداء الأقباط فى مصر، ثم نورد بعض أمثلة من مذابح الشهداء فى غير مصر.

أ ـ أمثلة من مذابح الشهداء الأقباط فى مصر :

١ ـ ٨١٤٠ شهيداً فى مذبحة أخميم :

فى السنة الخامسة عشرة من جلوس الإمبراطور دقلديانوس على عرش الإمبراطورية الرومانية أصدر أمره بقتل كل المسيحيين فى العالم الذين يرفضون التبخير للأوثان. فلما وصل هذا الأمر إلى أريانوس والى الصعيد فى مصر، بدأ حملة اضطهاد بشعة للأقباط فى كل الأقاليم التابعة لولايته. ومن ذلك أنه حين وصل إلى مدينة أخميم فى فجر يوم ٢٩ كيهك سنة ٣٠٣ ميلادية اتجه إلى المعبد الوثنى الكبير الذى فيها فلم بجد به أحداً، فاتجه مع جنوده مدججين بالسيوف والرماح إلى الكنيسة الكبرى بالمدينة وكانت تدعى كنيسة "أبصادير" أى كنيسة المخلص. فوجد هناك جموع الأقباط محتشدين كلهم للإحتفال بعيد

يلاد، فخاف أن يدخل ووقف خارج الباب البحرى للكنيسة، وأمر بإحضار اثنين من أعيان الأقباط الموجودين بها، فأحضروا له اثنين منهم هما "أبا فادة" و "أباوانين" فراح يحاورهما محاولاً إقناعهم بالارتداد عن ديانتهما والتبخير للأوثان كأمر الإمبراطور، ولكنهما رفضا رفضاً قاطعاً وأصرا على تمسكهما بعقيدتهما المسيحية. فجرد سيفه وضرب عنقهما، ثم أمر جنوده بذبح كل الموجودين بالكنيسة. وكان بين الحاضرين "أبسكندة" رئيس كهنة الأوثان، ومعه سبعون من كهنته، وعدد آخر من الوثنيين الذين كانوا قد آمنوا جميعاً بالمسيح. كما كان بالكنيسة قديسان معروفان هما ديسقوروس وأخوه أسكلابيوس وقد كانا يعيشان متعبدين فى الصحراء منذ زمن بعيد فلما علما بحضور أريانوس لقتل الأقباط الذين فى أخميم نزلا إليها ومعهما أربعة وعشرون راهباً من إخوتهما. وإذ وجدا جموع المؤمنين محتشدين بالكنيسة راح ديسقوروس يعظهم باللغة اليونانية وأسكلابيوس يفسر لهم ما يقوله أخوه باللغة القبطية، مشجعين إياهم على الثبات ولو أدى الأمر إلى استشهادهم جميعاً فى سبيل عقيدتهم. وفى هذه الأثناء راح الأقباط فى كل أنحاء المدينة يتسابقون للانضمام إلى إخوتهم فى الكنيسة الكبرى ولا سيما الذين كانوا منهم يحتفلون بعيد الميلاد فى الكنائس الأخرى بالمدينة، ومنها كنيسة العذراء مريم وكنيسة القديس يوحنا المعمدان وكنيسة

رئيس الملائكة ميخائيل وكنيسة رئيس الملائكة غبريال، وقد أبدوا استعدادهم للإستشهاد جميعاً.

وبناء على أمر أريانوس راح الجنود يذبحون كل الذين فى الكنيسة وقد بدأوا بذبح "أبسكندة" رئيس كهنة الأوثان، والكهنة السبعبن الذين معه، والوثنيين الآخرين الذين آمنوا بالمسيح. ثم ذبحوا من الأقباط ستين قساً، وثلاثين شماساً، وثلاثة وخمسين أبدياكون مساعدى الشمامسة وثمانين مرتلاً وأغنسطساً أى القراء، واثنى عشر من خدم الكنيسة، وخمسمائة من الأعيان، وعدة آلاف من الشعب. وكانوا يكشطون لحم المؤمنين ويكسرون عظمهم ويشقّون بطونهم أو يقلعون عيونهم، أو يطعنونهم بسيوفهم والرماح فى حناجرهم. وكانوا ينتزعون الأطفالَ الصغار مِن أحضان أمهاتهم ويذبحونهم أمام أعينهم غير مبالين بنحيبهنَ وتوجعهنَ على فلذات أكبادهنَ.

ولما رأى أريانوس كثرة الجموع التى تتدفق على الكنيسة خشى على حياته وأمر جنوده بأن يستقبلوا تلك الجموع من بعيد وأن يسوقوهم إلى داخل الكنيسة تحت حراستهم ليقتلوهم هناك؛ فذبحوهم جميعاً. ومن ثم سالت بحور من الدماء داخل الكنيسة وفى ساحاتها وفى شوارع المدينة كلها. وقد استمرت المذبحة ثلاثة أيام كاملة هى ٢٩ ر٣٠ كيهك وأول طوبة. وقد خلت مئات البيوت من كل سكانها ولم يبقَ بيت واحد

من بيوت المدينة إلا وفيه شهيد أو عدد من الشهداء. وفى النهاية تعب الجنود من كثرة الذين قتلوهم، فتوقفوا وخرج الوالى وقواده وجنوده من المدينة ومضوا إلى معسكرهم وأخذوا معهم القديس الأنبا بنوديون أسقف أنصنا الذى كان أرسانيوس قد جاء به معه مقيداً بالأغلال، كما أخذوا معهم القديس ديسقوروس وأسكلابيوس، والإخوة الأربعة والعشرين الذين جاءوا معهما، وبعد الكثير من الجدل والحوار معهم أمر الوالى بالتحفظ على الأنبا بنوديون فى السجن، ثم استمر فى حواره مع القديس ديسقوروس محاولاً إغراءه بالمناصب العالية لو أنه ارتد عن عقيدته وبخر للأوثان، ولكنه فشل فراح يعذبه هو وأخاه أسكلابيوس وأوثقهما بالحبال وألقى بهما فى السجن. ثم فى اليوم التالى عقد مجلسه مع قواده وجنوده وأعد آلات التعذيب وطلب من أحد قادته وهو أولاجيوس أن يجيء بالقديس ديسقوروس، ولكنه رفض وكم كانت دهشة الوالى إذ علم أن هذا القائد ومعه جنوده آمنوا بالمسيح بعد مارأوا من قوة إيمان الشعب الذى كان يفضل الموت بأبشع الوسائل عن أن يرتد عن عقيدته. ومن ثم أمر الوالى أولئك الذين تبقوا من الجنود بإلقاء أولاجيوس وجنوده فى أتون النار.. ثم تقدم جنود الوالى فقلعوا عينى القديس ديسقوروس ثم أمرهم الوالى بقطع رقبته، كما أمر بقطع جسد أخيه أسكلابيوس من وسطه إلى نصفين. وأما الأربعة وعشرون راهباً الذين

جاءوا معهما فقد أمر بذبحهم فذبحوهم جميعاً.

وبعد أن رحل أريانوس مع جنوده قام المؤمنون بدفن جثث الشهداء التى كانت مكدسة داخل الكنيسة وخارجها، وفى ميادين المدينة وشوارعها، وقد استمرت عملية نقل أجسادهم إلى جبل قريب من المدينة سبعة أيام. ثم فى عام ٣٠٥ للميلاد أقيم فوق مقبرتهم بذلك الجبل دير ساهم كل شعب المدينة فى بنائه، ودشنه ديوجانوس أسقف أخميم بحضور الأنبا موساس أسقف فاو والأنبا أهروفين أسقف أبصاى.

وقد أصدر الإمبراطور المسيحى قسطنطين بعد ذلك أمراً بإحصاء عدد الذين استشهدوا فى عهد دقلديانوس فوجدوا أنهم أربعمائة ألف وخمسون شهيداً فى مصر والشام وحدهما. ووجدوا أن شهداء مذبحة أخميم وحدها بلغوا ٨١٤٠ شهيداً غير الذين لم يتمكنوا من حصرهم.

وقد حرص الأنبا ديوجانس أسقف أخميم على كتابة تاريخ أولئك الشهداء. ومع مجىء عيد الميلاد فى كل عام كانت المدينة تحتفل احتفالاً عظيماً بشهدائها الأبرار.

ـ خمسة آلاف شهيد فى مذبحة إسنا :

بعد أن صدرت مراسيم اضطهاد المسيحيين فى عهد الإمبراطور دقلديانوس قام أريانوس والى الصعيد فى مصر كما سبق أن رأينا بحملة

بشعة فى كل الأقاليم التابعة لولايته لقتل كل الأقباط الذين يرفضون التبخير للأوثان. وفى هذه الأثناء تردد مرات عديدة على مدينة إسنا وكان فى كل مرة يذبح عدداً من الشهداء. ففى المرة الأولى استشهدت الأم دولاجى وأولادها الأربعة. وفى المرة الثانية استشهد أربعة من رؤساء الأقباط فى المدينة وهم أوسافيوس وسامان وهرواج وباخوش بعد أن أمر أريانوس بتعذيبهم بأشنع أساليب التعذيب. وأما فى المرة الثالثة فقد أجرى ذلك الوالى مذبحة استشهد فيها نحو خمسة آلاف من أهالى إسنا. وذلك أن الأهالى حين علموا أن أريانوس قادم إليهم مع زبانيته تجمعوا عند باب المدينة الذى كانوا يسمونه باب الشكر وصلوا صلاة حارة ثم صعدوا إلى الجبل المسمى جبل أغاثون حيث كان يقيم أسقفهم الأنبا أمونيوس منقطعاً للعبادة، فأخذ يعظهم ويشجعهم وقد أمضوا الليلة كلها فى الصلاة. ولما أشرقت الشمس قام الأسقف بخدمة القداس، وناول الشعب كله من الأسرار المقدسة. فلما دخل أريانوس المدينة لم يجد أحداً بها، فراح يجوب أنحاءها، حتى إذا وصل إلى باب المدينة، وجد هناك امرأة عجوزاً راقدة على فراشها، وقد أقعدها المرض وعاقتها الشيخوخة عن أن تصحب الشعب إلى الجبل. فسألها الوالى قائلاً "أين ذهب أهل هذه المدينة" فأجابته قائلة "إنهم حين سمعوا بحضور أريانوس الوالى الكافر الذى جاء يقتل الأقباط، ويقسرهم على عبادة الأوثان

صعدوا إلى جبل أغاثون، فقال لها "وأنت من تعبدين؟" فقالت "إنى مسيحية أعبد سيدى يسوع المسيح" ، فأمر الوالى جنوده بقطع رقبتها فماتت شهيدة. وإذ لم يكن أحد يعرف اسمها، لقبوها بالعجوز الرشيدة لأنها أرشدت الوالى إلى أهل المدينة، وأما الوالى فقد أمر جنوده بصعود الجبل وأن يقتلوا كل من يصادفونه فى طريقهم وبالفعل قتلوا كل من وجدوه حتى وصلوا إلى دير الأنبا إسحق بجبل أغاثون، حيث كان الشعب مجتمعاً مع أسقفه يعظهم ويشجعهم، فلما رأوا الوالى صرخوا جميعاً قائلين "نحن مسيحيون نؤمن بالسيد يسوع المسيح"، فأمر الوالى جنوده بأن يقتلوهم جميعاً، وكانوا نحو خمسة آلاف، ثم صادف بعد ذلك فى عودته ثلاثة أقباط وهم سورس وأنطوكيون ومشهورى فحين رأوه صرخوا قائلين "نحن مسيحيون" فأمر بقتلهم فمدوا أعناقهم على حجر هناك فقطع الجنود رؤوسهم فبنيت لهم بعد الإضطهاد مقبرة باسمهم. أما الأنبا أمونيوس أسقف إسنا فقد قبض عليه أريانوس ووضع الأغلال فى يديه وأخذه إلى مدينة أسوان ثم أخذه إلى مدينة أنصنا عسى أن يقنعه بالارتداد عن إيمانه ولكنه فشل فسلمه إلى هركس والى أنصنا وقد حاول هو أيضاً أن يقنعه بالارتداد ولكنه فشل أيضاً. فأمر أريانوس بحرقه وهو حى، فطلب أن يسمحوا له بأن يصلى أولاً، وبعد أن ختم صلاته طرحوه فى النار فاستشهد، ولكن النار لم تؤثر فى جسده فبقى

سليماً، وجاء جماعة من الأقباط وكفنوه ودفنوه فى موضع يسمى الجسر الغربى، ثم أقام الأقباط فيما بعد كنيسة باسمه فى ذلك الموضع.

٣ ـ خمسة آلاف شهيد فى مذبحة أنصنا :

حين وردت إلى الوالى أريانوس مراسيم الإمبراطور دقلديانوس بقتل كل المسيحيين الذين يرفضون التبخير للأوثان، استدعى الأنبا أباديون أسقف أنصنا، الذى كان يعرفه من قبل وقال له "أحضر لى كل الأقباط فى المدينة ليستمعوا إلى مراسيم الإمبراطور ويسجدوا لمعبوداته". فأجابه الأسقف قائلاً "قل لى ما هى الفائدة التى ربحتها من الإمبراطور؟ لقد مضيت من عندنا وأنت صديق، فعدت وأنت عدو. مضيت وأنت إنسان فعدت وحشاً كاسراً". فقال له أريانوس "إن أهل الصعيد قساة القلوب غلاظ الرقاب، ولذلك أقامنى الإمبراطور والياً عليهم كى أؤدبهم وأقسرهم قسراً على عبادة الأوثان". فقال له الأسقف متهكماً "احترس لئلاً يأتى اللصوص فيسرقوا هذه الأوثان منك ويبيعوها". ثم مضى الأسقف إلى الكنيسة وجمع الأقباط وأخبرهم بأوامر الإمبراطور، ثم راح يعظهم ويشجعهم ويحثهم على الثبات، ثم أخذهم وجاء بهم إلى أريانوس فاعترفوا أمامه علانية بالسيد المسيح، فغضب وأمر جنوده بقتلهم فأعملوا فيهم السيوف وراحوا يذبحونهم حتى أفنوهم جميعاً وقد بلغوا

نحو خمسة آلاف شهيد، فامتلأت الشوارع بدمائهم الطاهرة.

٤ ـ خمسة آلاف راهب استشهدوا فى دير بالقرب من أنصنا :

وفى عهد الإمبراطور دقلديانوس أيضاً استشهد خمسة آلاف راهب قبطى مع أسقفهم الأنبا يوليانوس، فى دير يقع فى الصحراء القريبة من مدينة أنصنا على يد مركيانوس والى المدينة.

٥ ـ ٦٦٦٦ شهيداً فى مذبحة الكتيبة الطيبية :

كما أنه فى عهد الإمبراطور دقلديانوس أيضاً وشريكه فى حكم إمبراطورية مكسيميانوس، حدث فى عام ٢٨٦ للميلاد أن أعلنت بعض القبائل من فلاحى بلاد الغال وهى فرنسا العصيان على مكسيميانوس، فأرسل إليه دقلديانوس لنجدته كتيبة مصرية من مدينة طيبة وهى الأقصر الحالية، إذ كان جنودها الأقباط مشهورين بشجاعتهم فى الحروب، فلما وصلت هذه الكتيبة وكان عددها ٦٦٦٦ جندياً قسمها الإمبراطور قسمين، أحدهما يرابط فى بلاد الغال والقسم الثانى يرابط عند الحدود السويسرية ثم حين أزف موعد المعركة أراد الإمبراطور أن يذهب إلى المعبد الوثنى هو وجنوده ليبخروا للآلهة الوثنية مبتهلين إليها أن تنصرهم فى القتال فأعلن جنود الكتيبة الطيبية رفضهم الذهاب مع الإمبراطور، لأنهم مسيحيون يؤمنون بالسيد المسيح ولا يمكنهم السجود للآلهة

الوثنية، فاستشاط الإمبراطور غضباً وأقسم أن ينتقم منهم شر انتقام. ومن ثم أمر جنوده بأن يجعلوهم فى صفوف متوالية، وأن يتركوا تسعة من كل صف، ويمسكوا العاشر فيجلدوه، ثم يقطعوا رأسه، وبذلك فتك الإمبراطور بجزء من عشرة أجزاء من الكتيبة كلها، معتقداً أنه بذلك سيخيف الباقين فيطيعونه، ولكن الباقين اتفقوا على أن يرسلوا إليه خطاباً وقعوه جميعاً وقالوا فيه "إننا أيها القيصر العظيم جنودك، ولكننا فى الوقت نفسه عبيد الله، ونحن ندين لك بالخدمة العسكرية، وأما الله فندين له بولاء قلوبنا. ونحن نأخذ منك الراتب اليومى، أما الله فإننا سننال منه الجزاء الأبدى. ولذلك فإننا لا يمكننا بأى حال من الأحوال أن نطيع الأوامر المخالفة لله، فإن كانت أحكامك تتفق مع أحكامه فنحن ننفذها بكل إخلاص،، وأما إذا تعارضت مع أحكامه فلن نقبلها أبداً، لأنه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس، لأن ولاءنا لأوامره فوق ولائنا لكل الأوامر مهما كان مصدرها. ولسنا ثواراً، لأن لدينا الأسلحة التى نستطيع بها أن ندافع عن أنفسنا ونعصاك. ولكننا نفضل أن نموت أبرياء، على أن نعيش ملطخة أيدينا بالدماء. وإننا على استعداد لأن نتحمل كل ما تصبه علينا من صنوف العذاب، لأننا مسيحيون، ونحن نعلن مسيحيتنا جهاراً دون تردد أو خوف".

ولكن الإمبراطور حين قرأ هذا الخطاب ازداد حنقه على أولئك الجنود، وأمر بتكرار عملية قتل العاشر من كل صف مرة أخرى، فوقفوا في ثبات، وكان كل واحد منهم حين يجيء دوره يلقى أسلحته على الأرض ويقدم ظهره للسياط ثم عنقه للسياف.

وقد وصف الأب بول دورليان هذه المذبحة قائلاً "هكذا استشهد البعض منهم فى مدينة أجون بسويسرا، والبعض الآخر فى مدينة جوليا بشمال إيطاليا، وغيرهم فى تريف وفى فينتى ميليا وفى برجامو، فكانت مذبحة همجية فظيعة تناثرت فيها أشلاء المصريين فى وادى أجون وارتوت أرضه بدمائهم. فنالوا بذلك إكليل المجد غير المضمحل".

٦ ـ ١٥٠٠ شهيداً فى أتريب :

فى أواخر عهد الإمبراطور دقلديانوس، حاول الكسندروس والى طوة من أعمال أتريب إقناع الأقباط بالسجود للأوثان، ولكنهم رفضوا فقتل منهم ألف وخمسمائة شهيد.

٧ ـ ١٧٤ شهيداً فى أنصنا :

حدث أن مائة وخمسين رجلاً وأربع وعشرين امرأة من الوثنين فى أنصنا بصعيد مصر شاهدوا فى دار الولاية جند الوالى يعذبون القديس بولس السريانى بكل وسائل التعذيب البشعة، ومنها أنهم قلعوا عينيه، ثم

لم يلبثوا أن رأوه فى اليوم التالى سالماً من كل ما أصابه، فقالوا "لا يمكن أن يصنع هذه المعجزة إلا خالق الكون كله". ثم صاحوا قائلين "إننا قد آمنا بإله بولس". فأمر الوالى بقطع رؤوسهم جميعاً.

٨ ـ ٩٢٠ شهيداً بالإسكندرية :

إثناء اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس للمسيحيين كان هناك قس جاوز الثمانين من عمره يدعى " أبا قسطور" لا يفتأ يداوم على تثبيت رعيته وافتقاد المعترفين المسجونين، فسمع عنه والى مدينة ألقيس التى كانت فى ذلك الوقت مقراً لأسقفية، وهى حالياً قرية صغيرة بالقرب من مدينة بنى مزار، فقبض عليه وأمر جنده فجلدوه بالسياط، ووضعوه فى جهاز التعذيب المسمى بالهنبازين، ثم ألقوا به فى مستوقد حمام، ولكن الله أعانه على الاحتمال، فأرسله الوالى مقيداً بالسلاسل مع بعض المعترفين الآخرين إلى والى الإسكندرية، وهناك عذبوه بصنوف أخرى من التعذيب،ثم أمروا ساحراً يدعى سيدراخيس بأن يعد له سماً قاتلاً، فلما أعطاه له رسم عليه علامة الصليب وشربه فلم يؤذه، فآمن الساحر بالمسيح، ومن ثم أمر الوالى بإلقاء ذلك الساحر فى أتون النار، كما آمن بسبب هذه المعجزة تسعمائة وعشرون من الوثنيين، فحكم عليهم الوالى بالموت حرقاً. وأما أبا قسطور فوضعوه فى خلقين من الزيت المغلى، ثم قطعوا رأسه بالسيف.

٩ ـ استشهاد أربعين عذراء مع القديسة دميانة :

ولدت القديسة دميانة فى مصر من أبوين مسيحيين، وكان أبوها مرقس والياً على البرلس والزعفران. وحين بلغت الخامسة عشرة من عمرها رفضت الزواج واعتزمت البتولية، فأقام لها أبوها قصراً فى جهة الزعفران لتنقطع فيه للعبادة. واجتمع إليها أربعون من العذارى اللاتى نذرنَ البتولية مثلها. وفى أثناء الإضطهاد الذى أثاره دقلديانوس ضعف أبوها وبخر للأوثان. فخرجت من عزلتها وقالت له "كان الأهون على نفسى أن أسمع خبر انتقالك إلى السماء عن أن أسمع أنك أنكرت فادينا الحبيب". فألهبت هذه الكلمات قلب أبيها، فذهب لمقابلة دقلديانوس وجهر أمامه بالإيمان فأمر بقطع رأسه. ولم يلبث دقلديانوس أن عرف أن سبب رجوع أبيها هو ابنته دميانة، فأرسل إليها، فرفضت التبخير للأوثان قائلة "إنى أعترف بسيدى يسوع المسيح، وعلى اسمه أموت، وبه أحيا حياة أبدية". فقطعوا رأسها بالسيف. كما قطعوا رؤوس كل العذارى اللاتى كنَ معها. وكان قد تجمع حول المكان عدد كبير من الأهالى، فلما رأوا ما حدث اعترفوا جميعاً بالمسيح فأطاح الجند برؤوسهم.

١٠ ـ استشهاد أربعين راهبة فى جبل أسيوط :

حدث أن غزا الأحباش مصر وراحوا يطاردون الأقباط فى كل أنحائها وكان بجبل أسيوط دير به تسع وثلاثون عذراء ورئيستهن. وكن جميعاً فى غاية التقوى والصلاح، وقد أعطاهن الله موهبة شفاء المرضى. فلما سمع قائد الأحباش بأمرهن جاء مع جنوده وحاصر الدير كى يأخذوا العذارى إلى بلادهم ليتزوجوهن، وراحوا يدقون باب الدير دقاً عنيفاً، فقالت إحدى الراهبات للرئيسة "يا أمنا لفى كل واحدة منا بحصير وأطلقى فيها النار، فنروح للرب قرباناً زكياً"، ووافقتها على ذلك كل الراهبات، فأسرعت رئيسة الدير ولفت كل واحدة منهم بحصير، وأشعلت فيهن النار وهى تقول "ياسيدى يسوع المسيح اقبلهن قرباناً إليك. لأن موتهن هكذا أفضل من أن يدنسهن أولئك الكافرون، ولا تجعل يارب علىّ هذه الخطيئة" ثم أعتلت الرئيسة برج الدير وألقت بنفسها إلى أسفل فتحطمت وأسلمت الروح.

١١ ـ ٤٠٠ شهيداً فى دندرة :

استشهد فى عهد دقلديانوس أربعمائة شهيد من الأقباط فى مدينة دندرة بصعيد مصر، وقد قطعت رؤوسهم بالسيف جميعاً فى يوم واحد.

١٢ ـ ٤٩ شهيداً في دير أبو مقار بوادى النطرون :

لم يكن للإمبراطور المسيحى ثيئودوسيوس الثانى ولد يرث عرشه، وإذا اعتزم أن يتزوج امرأة أخرى ليرزق منها بولد. أرسل رسولاً ليستشير فى ذلك شيوخ الرهبان فى مصر، وكان للرسول ابن وحيد طلب منه أن يصحبه فأخذه معه إلى دير أبو مقار فى وادى النطرون. وحدث أنه أثناء وجوده مع ابنه هناك هجمت عصابات البدو على الدير لينهبوه ويقتلوا رهبانه، فوقف الأنبا يؤانس أسقف الدير وقال للرهبان "أنهم قد أتوا وهم لا يطلبون إلا قتلنا، فمن أراد الإستشهاد فليبقَ معى. ومن خاف فليطلع إلى الحصن". فهرب البعض وبقىَ مع الأسقف ثمانية وأربعون راهباً، فجاء البدو فذبحوهم، كما ذبحوا رسول الإمبراطور وابنه، ونهبوا الدير وانصرفوا. فنزل الرهبان الذين كانوا مختبئين فى الحصن بعد ذلك وجمعوا أجساد الشهداء ووضعوها فى مغارة وأصبحوا يصلون كل ليلة ويتباركون بها. ثم لم يلبثوا أن خافوا عليها فنقلوها إلى مدفن بجوار كنيسة القديس مكاريوس الكبير، وأقاموا عليها كنيسة فى عهد البطريرك الأنبا تاوديسيوس، تسمى كنيسة البهمابسيت، أى التسعة والأربعين ثم فى عهد البطريرك الأنبا بنيامين حدّدوا يوماً للإحتفال بذكراها فى اليوم الخامس من شهر أمشير فى كل عام.

١٣ ـ ٥٤٠ شهيداً في مدينة ببنوسة بصعيد مصر :

كان القديس سرابيون من أعيان بلدة ببنوسة بصعيد مصر، وقد اعترف أمام الوالي الروماني أرمانيوس بأنه مسيحي فألقاه في السجن. فلما علم ذلك أهل بلدته احتشدوا وذهبوا إلى الوالي بالسلاح يريدون قتله وإنقاذ القديس، فمنعهم القديس من ذلك وأفهمهم أنه يريد أن ينال إكليل الشهادة. وقد أمر الوالي جنده بتعذيبه فعذبوه بآلة الهنبازين، ثم طرحوه في قمين نار، ثم غلوه في خلقين زفت وقطران وسمروه على سرير من الحديد حتى تهرأ جسده كله، ثم صلبوه على خشبة، ثم أخيراً ذبحوه وذبحوا خمسمائة وأربعين من أهل بلدته الذين جاءوا لإنقاذه.

١٤ ـ سبعة رهبان مع الأنبا موسى الأسود :

كان الآنبا موسى الأسود من أشهر القديسيين في صحراء مصر، وكان له دير خارجّ دير البراموس بوادي النطرون، وقد قتله البدو ومعه سبعة رهبان من زملائه، ومازال جسده محفوظاً بدير البراموس.

١٥ ـ سبعة رهبان من تونة الجبل بمصر :

اعترف سبعة رهبان من تونة الجبل بمنطقة الأشمونين بمصر الوسطى بإيمانهم بالمسيح أمام الوالي الروماني فعذبهم بكل وسائل التعذيب ثم قطع رؤوسهم.

١٦ ـ ثلاثون ألف شهيد فى الإسكندرية :

كان الإمبراطور مركيانوس الذى اعتنق مذهب الهراطقة فى مجمع خلقيدونية قد نفى بطريرك الأقباط البابا ديسقوروس إلى جزيرة جاجرا لتمسكه بالإيمان الأرثوذكسى القويم، وعدم موافقته على قرارات خلقيدونية. وكان فى الإسكندرية راهب يدعى بروتاريوس أبدى موافقته على هذه القرارات فأراد الإمبراطور أن يجعله بطريركاً لمصر بدلاً من البابا ديسقوروس وتعيين بروتاريوس بدلاً منه، كما يحمل رسالة من الإمبراطور يهدد فيها كل من يجرؤ على عصيان أوامر الإمبراطور. غير أن الأقباط بدلاً من أن يتراجعوا أمام تهديد هذا الإمبراطور وأمام فرضه عليهم رجلاً دخيلاً ليكون بطريركاً لهم، أضرموا نار ثورة عارمة بالإسكندرية راح ضحيتها أربعة وعشرون ألفاً من الأقباط وقد كان منهم عدد كبير من الأساقفة والكهنة والرهبان. وكان أحدهم الأنبا مكاريوس أسقف إدكو التى فى صعيد مصر وكان أحد الذين صاحبوا الأنبا ديسقوروس إلى مجمع خلقيدونية. وقد حاول والى الإسكندرية إرغامه على التوقيع على قرارات مجمع خلقيدونية فرفض فقتلوه. وأما باقى الأساقفة الذين رفضوا التوقيع على تلك القرارات فقد كان جزاؤهم النفى والتشريد. وقد كان من أثر قتل الأنبا مكاريوس وتشريد باقى الأساقفة أن ثار الأقباط فى الإسكندرية وأصروا على الحيلولة دون إعتلاء

بروتاريوس الكرسى المرقسى وسدوا فى وجهه كل طريق يؤدى به إلى الكنيسة المرقسية. فثار الإمبراطور وأذاقهم كل صنوف التعذيب والقتل، وأصدر أمره بالإتفاق مع الأسقف الدخيل بإغلاق جميع الكنائس القبطية، ماعدا عدد منها إغتصبه وسلمه إلى أنصاره وقام هذا الأسقف بسلب الكنائس التى مكنه الجند من الإستيلاء عليها.

ثم توفى الإمبراطور مركيانوس فى فبراير سنة ٤٥٧ ميلادية واعتلى العرش فى مكان الإمبراطور ليو الأول، فانتهز الأقباط فى الإسكندرية الفرصة وأقاموا البابا تيموثيئوس الثانى بطريركاً لهم فى ١٦ مارس سنة ٤٥٧ فى مكان البابا ديسقوروس الذى كان قد توفى وهو فى منفاه فى ٤ سبتمبر سنة ٤٥٤ ميلادية. وبذلك أصبح فى الإسكندرية اثنان من البطاركة هما البطريرك الملكى بروتاريوس والبطريرك القبطى تيموثيئوس. وقد رأى البابا تيموثيئوس أن واجبه الرعوى يحتم عليه تفقد رعيته فى هذا الوقت العصيب، فغادر الإسكندرية وراح يتنقل بين الإيبارشيات فى كل أنحاء البلاد. وفى هذه الأثناء وصل إلى الإسكندرية قائد الجيش الإمبراطورى ديونيسيوس ومعه عدد كبير من الجند حاملاً الأوامر المشددة من الإمبراطور لإخضاع الأقباط لسلطة بروتاريوس بكل ما أوتى به من قوة. فما كان من هذا القائد إلا أن نفذ أوامر إمبراطوره بكل عنف وكل قسوة. وقد اقترف فى سبيل ذلك من الفظائع ما يفوق فى شناعته ما

أرتكبه من قبل كل الأباطرة الوثنيين. حتى إذا عاد البابا تيموثيئوس من رحلته وجد أن رسول الإمبراطور قد أغلق فى وجهه كل أبواب الإسكندرية ليمنعه من دخولها، فاضطرم غضب الأقباط ولم يعودوا يطيقون تدخل أولئك البيزنطيين فى شئونهم الدينية، فثاروا ثورة عارمة، وانقضوا على البطريرك الدخيل بروتاريوس وقتلوه فى ٢٨ مارس سنة ٤٥٧ ميلادية. فما كان من الإمبراطور إلا أن أصدر أمره بنفى البابا تيموثيئوس إلى جزيرة جاجرا، كما أصدر أمره بقتل كل الأقباط الذين اشتركوا فى الثورة. وقد قتل منهم فى هذه المرة ستة آلاف، فأصبح عدد شهداء الإسكندرية فى ذلك الحين ثلاثين ألف شهيد.

١٧ ـ الشهداء الذين قتلهم الإمبراطور قنسطنس :

حين وافق الإمبراطور قنسطنس ابن الإمبراطور قسطنطين الكبير على بدعة أريوس أرسل إلى الإسكندرية رجلاً اسمه جورجيوس الكبادوكى مع خمسمائة فارس ليكون بطريركاً على الإسكندرية بدلاً من البابا أثناسيوس الذى رفض هذه البدعة، وأمره بقتل كل الذين لا يطيعونه، فلم يقبله أهل الإسكندرية فقتل منهم عدة آلاف وهرب الأنبا أثناسيوس وبقى مختفياً ست سنين، ثم خرج ومضى إلى القسطنطينية حيث قابل الإمبراطور فأمر بترحيله فى سفينة بغير خبز ولا ماء، لعله يهلك جوعاً أو يغرق فى الطريق، ولكن السفينة وصلت الإسكندرية بسلام، ففرح به

شعبه فرحاً عظيماً وأدخلوه إلى الكنيسة وأخرجوا منها جورجيوس وأصحابه.

١٨ ـ استشهاد الأقباط فى كل أنحاء مصر على يد الأريوسيين :

فى عهد الإمبراطور الأريوسى قنسطنس فى المدة من عام ٣٣٧ إلى ٣٦١ للميلاد، شمل اضطهاد الأريوسيين للأقباط الأرثوذكس مصر كلها. ويقول القديس الأنبا أثناسيوس الرسولى الذى روى لنا هذا الفصل من التاريخ، أنه من المستحيل وصف العذابات التى احتملها الأساقفة والكهنة فى سبيل عقيدتهم الأرثوذكسية القويمة. حتى أنهم من فرط ما صبه الأريوسيون عليهم من ألوان العذاب تغيرت ملامحهم وقد أنذروهم بالإنسحاب من إيبارشياتهم وترك كراسيهم للأريوسيين. فلما لم يذعنوا لهم قيدوهم بالسلاسل ونفوهم إلى بلاد بعيدة. ومنهم الأسقف آمون والأسقف أولفيوس اللذين نفوهما إلى الواحة الخارجة، والأساقفة مويس وبسينوسوريس وبيلامون وبلينيس ومرقس وأثينودوروس الذين نفوهم إلى واحة آمون التى هى واحة سيوه. وكان محكوماً عليهم بالموت حرقاً، والأسقف دراكنتيوس الذى نفوه إلى صحراء القلزم بالقرب من السويس. والأسقف فيلون الذى نفوه إلى بابليون، والأساقفة أمونيوس وأغاثوس وأغاثوديمون وأبلونيوس ويولوجيوس وبفنوتيوس وأبوللون وجايوس وفلافيوس وديسقوروس وهراكليوس وبسينى والكاهنان

هيراكس وديسقوروس نفوهم إلى أسوان، ثم راحوا يطاردونهم من كفر إلى كفر ويسخرون كثيرين منهم فى المناجم والمحاجر. كما ذبحوا بعضهم الآخر بلا شفقة ولا رحمة، وقد أوصى البابا أثناسيوس بتكريم هؤلاء فى الكنيسة باعتبارهم شهداء وقديسين مباركين.

ب ـ أمثلة من مذابح الشهداء فى غير مصر :

(١) ١٥٠ شهيداً فى بلاد الفرس :

هاجم ملك الفرس الوثنى بلاد المسيحيين التى كانت متاخمة لحدود مملكته وسبى مائة وخمسين من أهلها إلى بلاده، ولما لم يطيعوه فى عبادة الشمس والكواكب أمر بضرب أعناقهم جميعاً فماتوا شهداء.

(٢) ١٠٠ شهيداً فى بلاد الفرس مع القديسين ببنودة وتاوضروس :

وقد استشهد فى بلاد الفرس أيضاً القديس ببنودة المتوحد والقديس تاوضروس العابد ومعهما مائة شهيد من المسيحيين.

(٣) ١٢٨ شهيداً فى بلاد الفرس مع القديس صادوق :

طلب بهرام ملك الفرس من القديس صادوق أن يسجد للشمس فأجابه قائلاً "إننى لم أنزل من أحشاء أمى لأسجد لهذه الشمس الفانية، وإنما أسجد لخالقها"، فقال له الملك "وهل لهذه الشمس خالق؟" فقال

"نعم. إنه السيد المسيح خالقها وهو إلهها وإلهنا"، فأمر الملك بضرب عنقه فلما ضرب السياف عنقه نزل عليه نور من السماء، وحين رأى الحاضرون هذا النور آمن منهم ١٢٨ شخصاً فأمر الملك بضرب أعناقهم جميعاً.

(٤) استشهاد خمسين راهبة ورئيستهن القديسة صوفية :

كان هناك دير للراهبات فى الرها يضم خمسين راهبة من بلاد مختلفة ورئيستهن القديسة صوفية. فلما مر بهذا الدير الإمبراطور الوثنى يوليانوس فى حربه مع ملك الفرس أمر جنوده بقتل كل الراهبات اللاتى فى الدير ونهب كل ما فيه. فهجموا على الدير وقتلوا كل اللاتى فيه من الراهبات ورئيستهن.

(٥) ٤٩ شهيداً فى أبيتينا بشمال أفريقيا :

كانت جماعة من أهل أبيتينا فى شمال أفريقية فى عهد الإمبراطور دقلديانوس مجتمعة للإحتفال بالعشاء الربانى فى بيت شخص يدعى فيلكس أوكتافيوس على الرغم من صدور أوامر الإمبراطور بمنع اجتماعات المسيحيين. وإذا برجال الحكومة يحاصرونهم ويقبضون عليهم، فراحوا وهم فى الطريق ينشدون التراتيل والألحان الدينية بفرح وعلى رأسهم دانيفوس الذى كان عضواً فى مجلس شيوخ قرطاجنّة،

والقس ساترنينوس وأسرته. وحين قدموا للمحاكمة اعترفوا بأنهم مسيحيون، فقيدّهم الجنود بالأغلال الحديدية وأرسلوهم إلى قرطاجنّة وقدموهم للمحاكمة أمام أنيولينوس بتهمة عقد اجتماع مسيحى مخالفين بذلك أوامر الإمبراطور. وقد راحوا يعذّبونهم واحداً بعد الآخر ليجبروهم على أن يبوحوا باسم زعيمهم، فكان كل واحد منهم يحاول أن يلصق التهمة بنفسه وكانت إجاباتهم اعترافات صريحة بأنهم اشتركوا فى الإجتماع المسيحى بمحض إرادتهم لأنهم مسيحيون. وقد عذبوهم عذابات شنيعة حتى أن بعضهم مات أثناء التعذيب وبعضهم الآخر ماتوا من الجوع فى السجن. وكان آخرهم صبياً صغيراً يُدعى ايلاريانوس ابن القس ساترنينوس، وكان قد شاهد أباه وواحداً من إخوته يعذبان عذاباً قاتلاً. كما شاهد واحداً آخر من إخوته يضربونه حتى الموت. وكانت شقيقته العذراء تساق إلى السجن فى انتظار الإستشهاد، وقد حاول أنيولينوس أن ينفى عن الصبى المسئولية بطريقة ملتوية، غير أن إجابة الصبى كانت حاسمة إذ قال "إننى مسيحى وقد اشتركت فى الإجتماع بمحض إرادتى مع أبى وإخوتى"، فأمر الوالى بإلقائه فى السجن مع الباقين ممن صدر عليهم الحكم بالموت، فاستشهدوا جميعاً.

(٦) ٤٠ شهيداً فى سبسطية بكبادوكيا :

كان الملك الرومانى ليسينيوس يتأهب فى عام ٣٢٠ للميلاد لمعركة

حربية، فأراد أن يذهب لاسترضاء الآلهة الوثنية، وأمر جنود جيشه بالذهاب معه، ففعلوا ذلك، ماعدا أربعين جندياً منهم كانوا مسيحيين، فأمر القائد بجلدهم وتمزيق أجسادهم بأظفار الحديد، ثم إلقائهم فى السجن، حتى إذا جاءوا بهم أمامه وهو فى سبسطية بكبادوكية، وكان الوقت شتاء والجليد يغطى إحدى البحيرات القريبة، أمر بتجريدهم من ثيابهم وإلقائهم فى البحيرة المتجمّدة ليتعذبوا ويموتوا موتاً بطيئاً، فأسرعوا وألقوا بأنفسهم فى البحيرة، وقد ظلوا يتحملوت العذاب القاسى حتى أسلموا الروح بعد ثلاثة أيام.

(٧) الفتية السبعة فى مدينة أفسس :

كان فى مدينة أفسس فى عهد الإمبراطور الرومانى ديكيوس سبعة فتية هم مكسيميانوس، ومالخومس، ومارينياس، ودويونيسيوس، ويوحنا، وسرابيوس، وقسطنطينوس، وكانوا جنوداً فى الجيش، فلما أمر ذلك الإمبراطور الوثنى بتعذيب المسيحيين فى عام ٢٥٢ للميلاد لجأ هؤلاء الفتية السبعة إلى أحد الكهوف يحتمون به. فلما علم الإمبراطور بذلك أمر بسد باب الكهف عليهم، وإذ كان أحد الجنود المكلّفين بهذا العمل مسيحياً نقش سيرتهم على لوح من النحاس وتركه داخل الكهف. وهكذا ماتوا جميعاً. وبعد نحو مائتى عام أى فى عام ٤٤٧ للميلاد تم اكتشاف أمرهم فى عهد الإمبراطور ثاؤدسيوس الثالث،

ويقال أن أجسادهم وجدت سليمة كأنهم أحياء. وتحتفل الكنيسة بذكرى استشهادهم فى اليوم العشرين من شهر مسرى كل عام.

(٨) ١٥٠ شهيداً مع القديس سمعان الأرمنى فى بلاد الفرس :

كان القديس سمعان الأرمنى أسقفاً لبلاد الفرس فى عهد الملك سابور ابن هرمز الملقب بالأكتاف لأنه كان إذا أسر ملكاً من أعدائه خلع كتفيه وقد اضطهد المسيحيين اضطهاداً قاسياً، فأرسل إليه ذلك القديس خطاباً يطلب إليه فيه تخفيف الوطأة على المسيحيين، فاستحضره الملك وربطه بسلسلتين من الحديد ورماه فى السجن، فراح يعظ المسجونين الوثنيين ويبشرهم بالمسيح فآمن كثيرون منهم فأمر الملك بضرب أعناقهم. ثم استحضر القديس من السجن ومعه مائة وخمسون من المؤمنين فأمر الملك كذلك بضرب أعناقهم، وقد فزع أحدهم فراح زميل له يشجعه. فقطع الملك لسان ذلك الذى شجعه وسلخ جلده وضرب عنقه بالسيف ثم ضرب عنق القديس فنال إكليل الشهادة وكان عمره عندئذ مائة وسبعة وعشرين عاماً.

(٩) استشهاد القديسة أربسيما و٣٩ عذراء :

فى زمن دقلديانوس أراد هذا الإمبراطور أن يتزوج فطلب من المصورين أن يطوفوا كل أنحاء الإمبراطورية حتى يجدوا أجمل بناتها

فيصوروها تصويراً دقيقاً. فلما جاء المصورون إلى روما دخلوا هناك ديراً للعذارى فوجدوا فيه فتاة تدعى أربسيما، ورأوا أنها جميلة الجميلات فصوروها وأرسلوا صورتها إلى الإمبراطور، فلما رآها عقد العزم على الزواج منها، فلما علمت بذلك أربسيما والعذارى اللاتى كنَ معها. وكنَ تسعة وثلاثين عذراء، بكينَ وخرجنَ من الدير وهنَ يصلينَ ضارعات إلى السيد المسيح أن يحفظهنَ ويحفظ بتوليتهنَ وهربنَ إلى أرمينيا التابعة لمملكة ترداد وأختبأنَ هناك داخل معصرة فى إحدى الحدائق، فلما طلب الإمبراطور أربسيما ولم يجدها وعلم أنها فى أرمينيا أرسل إلى الملك ترداد وطلب منه أن يحتفظ عنده بأربسيما فأرسل هذا الملك وجاء بها قسراً عنها، فلما رأى جمالها أراد تدنيس بتوليتها، فلم تمكّنه من ذلك، ودفعته عنها دفعاً شديداً، فأمر الجند بتعذيبها وقتلها، فطرحوها على الأرض وقطعوا لسانها وفقأوا عينيها، ثم أخيراً قطعوا رأسها، فلما علم الإمبراطور بقتلها أمر بقتل جميع العذارى اللاتى كنَ معها، فأتى الجند بهنَ وثقبوا كعب كل واحدة منهنَ وسلخوا جلودهنَ وقطعوا أجسادهنَ إرباً إرباً، فما لبثنَ أن لفظنَ أنفاسهنَ وقد ترك الجند أجسادهنَ مطروحة فى العراء ستة أيام حتى جاء القديس غريغوريوس وأخذ أجسادهنَ ودفنها فى مكان مقدس.

الفصل السابع

تكريس كنيسة الشهداء فى الثامن والعشرين من شهر كيهك

قال الأب ديوجانوس أن الأب بطرس رئيس الدير طلب منه الحضور إلى كنيسة آبائنا الشهداء لتكريسها على أسمائهم وكان مقيماً ببلدة أبصوتة غربى المدينة لترميم كنيستها التى هدمت أيام اضطهاد دقلديانوس الملك الكافر وكانت هذه الكنيسة قد بنيت فى أيام الرسل الحواريين فاستأذن ديوجانوس الأب أنبا مويسيس أسقف كرسى فاو وأبا هرمين أسقف كرسى أبصاى ودعاهم إلى تكريس كنيسة الشهداء وحضر معهم فى أخميم فى اليوم الثامن والعشرين من شهر كيهك وقد عَيَّدَ عيد الميلاد المجيد فى بيعة أب سوتير ثم هيأ لها الأب بطرس جميع ما هو ضرورى لتكريس البيعة بدير الشهداء فى يوم ٣٠ كيهك فذهب الأب ديوجانوس والأساقفة وجماعة الشعب والكهنة والأكليروس على أقدامهم وكانوا يرتلون المزامير والأبصاليات حتى وصلوا إلى الحاجر فخرج الأب بطرس والإخوة الرهبان ودخلوا جميعاً الدير وهم جميعاً فى تمام الفرح والسعادة. ثم يقول الأب ديوجانوس أنه وجميع الإخوة معه تفقدوا أرجاء الكنيسة وزينوها ووسعوا صحن الدير وطافوا بالقلالى وموضع المائدة وحصون الدير ثم صلوا ومجدوا الله إله الشهداء الأطهار

وصلوا صلاة الغروب ليلة صباحها الأول من شهر طوبة وابتدأوا بتكريس الكنيسة المقدسة وقرأوا الفصول اللائقة لهذه المناسبة مع المزامير والأبصلمودية والتماجيد الروحية حتى باكر اليوم الأول من شهر طوبة ورشموا الكنيسة باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين. على اسم الثمانية آلاف ومائة وأربعين شهيداً وألبس الأب المكرم بطرس رهباناً كثيرين الأسكيم الملائكى فى ذلك النهار. وأجرى الرب آيات شفاء لا يحصى عددها فى ذلك الدير. ثم رفعوا الصعائد المرهوبة على المذبح وقدس آباؤنا الأساقفة السرائر المقدسة بفخر عظيم وناولوا الشعب وملاك المذبح قائم يتولى حراسته بخوف وجزع عظيم.

الفصل الثامن

الشهادة ... حب

فى عيد النيروز نتذكر آباءنا الشهداء وكيف أحبوا المسيح ومقدار بذلهم من أجل السيد المسيح .. لقد أحبوا المسيح أكثر من أنفسهم وبذلوا من أجله دماءهم رخيصة. إذ أن محبتهم تنبع من إيمانهم بقوة محبته لهم. لذلك أمكنهم تحويل الألم إلى فرح فائق للطبيعة بنعمة المسيح الساكن فيهم.

فكما أن قوة إندفاع المياه على عوارض التوربين تتحول إلى نور وحرارة وكهرباء تسرى. كذلك يتحول الألم فى قلب الشهداء إلى حب يبذل.

من أجل المسيح بل قوة تؤثر فى الآخرين حتى تحولهم إلى شهداء.

كل مسيحى ينبغى أن يحمل صليبه ويتبع يسوع المسيح فى شكر حتى يكلل بالمجد لأننا إن كنا نتألم معه فسوف نتمجد أيضاً معه. فالضيقات التى تمر بنا إن كنا نواجهها بالشكر فسوف تتحول فى حياتنا إلى إكليل استشهاد وشهادة. أننا أولاد يسوع المسيح .. نشكره على كل حال لأنه ضابط الكل وكل ما يحدث لنا فهو من يده وبإرادته وبما أن الله صانع خيرات... إذن كل شئ يعمل لخيرنا من يد الله.

لقد كانت آلام يسو ع ربنا أكبر دليل على حبه لنا ـ لأنه من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى.. لقد ذاق فى سبيل حبه لنا ألواناً من العذاب والإضطهاد والضغوط والألم والعطش والجوع ونكران الجميل والخيانة والظلم والإهانة والبصق واللطم والتجديف ونزع الثياب وموت العار...

ولذا فالإنسان الجاد فى مسيحيته وتوبته تعطيه الضيقات اليومية مع الشكر إكليل شهادة. لذلك نجد أن الضيقات تُميت الخطية من الأعضاء وتُميت الشهوة من أجسادنا إذ كنا بالشكر نعيش مع إرادة الله ومشيئته الصالحة لنا.

حقاً إن التجارب والضيقات هى صلبان مؤلمة ولكن من يطلب حياة الطهارة والقداسة يقبلها بفرح وأما الفاتر يهرب منها ولا يُسر بمشيئة الله بل يخاف منها ويتذمر بسببها.

متعة الإنسان الكامل فى قبول الآلام من يد الله لأنها الطريق لذوق أفراح السماء ومتعة الوجود مع الله "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله" (فيلبى ١ : ٢٩).

إن الأمراض والأسقام الجسدية وفقدان الأشياء العزيزة علينا والأحباء هى دواء الخطاة وفطام من الموت واستشهاد بطئ للقديسين وينبوع خير.

لأننا من أجلك نُمات كل النهار.

ولذلك فإذا لاقيت اضطهاد أو ألم أو خطر أو إهانة اعلم أنها آتية من يد الله. وارفع قلبك نحو السماء قائلاً : "انظر يارب أننى أقبلها محبة فى اسمك القدوس فأعنى على حملها وتحملها".

سـلام أيهـا الشهدا العظام ... على أجسادكم وهـى عظام

لقد أحسنتم المسعى فطوبى ... لكـم أيهـا النبلاء الكـرام

شهدتم للمسيح الرب طوعاً ... ولـم يرعبكـم المـوت الزؤام

تمسكتم بالإيمان أسعدتكم ... تعاليـم أنيـر بهـا الظـلام

وكنتم فى الحماة لها أُسوداً ... يشابه شيخكم فيها الغـلام

لقد جاهـرتمُ فى غير خوف ... فلا وحشُ يهُاب ولا ضرام

وهانت عندكم دنيا الغـرور ... وكيف يغركم فيها حطـام

تركتم للكنيسة خير ذكرى ... ستبقى طالمـا أمتد الدوام

فقد أبصرنا للإيمان فيها ... حصوناً لا تدك لها خيام

كذلك كم سمعنا لها حديثاً ... أنـار شـعورنا فيها الكلام

نحييكم شهود الحق دومـاً ... على أرواحكم منا السـلام

الفصل التاسع

مـــع الشهـــداء

(إننا نكثر ونتزايد إذ تحصدوننا، وإن دم المسيحيين لبذرة! وإن لكم فيما تأخذونه علينا من عناد لعبرة. فمن ذا الذى يشهده ولا يتزعزع ثم لا يبحث عن السر فيه ؟ ومن ذا الذى يبحث فلا ينضم إلينا، ومن ذا الذى ينضم إلينا، ومن ذا الذى ينضم إلينا ولا يتوق إلى العذاب والموت فى سبيل الحصول على النعم الإلهية كاملة والعفو شاملاً؟) "ترتليانوس"

لم تر أمة من الأمم من أنواع الإضطهاد ما رأته الأمة القبطية، ولم تتحمل كنيسة من كنائس العالم أجمع ما تحملته كنيستنا الأرثوذكسية. لقد قام الأباطرة الرومان، الواحد تلو الآخر وليس لهم سوى التفنن فى طرق تعذيب المسيحيين والتنكيل بهم، ومع هذا، فقد خرج المؤمنون منتصرين فائزين.

"ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا" (خر ١ : ١٢).

أولاً : وقفة فوق مثوى الشهداء :

تسابق وتبارى الولاة والأباطرة فى تعذيب المسيحيين فى كلِ مكانٍ، وتفننوا بنوع خاص فى تعذيب مسيحى مصر الذين عرفوا بشدة تمسكهم بديانتهم غير هيابين ولاوجلين، وقد سطر التاريخ من حوادث

القتل والتعذيب العديدة ما أبان عظم إيمان الشهداء وازدرائهم بما يلحقهم فى سبيل ذلك من قتل أو تشريد.

ففى الإضطهاد الأخير الذى حدث فى أيام دقلديانوس طلب حاكم تيباس من تيموثيئوس الشماس أن يسلمه الكتب المقدسة التى لديه ليحرقها فأبى قائلاً : لو كان لدىَّ أولاد لقدمتهم ليكونوا ضحية النيران، إذ هذا أهون عندى من أن أسلم كلام الله ليهان!. وهنا أمر الوالى بقلع عينيه، وبعدئذ قال له : "هوذا الآن لم يعد للكتب نفع لديك إذ قد فقدت البصر"، أما الشماس فلم يلتفت إليه فاغتاظ الوالى وأمر بتعليقه من رجليه منكساً وربط ثقل فى رأسه وسد فمه! وما أن شاهدته زوجته التى كانت تحبه على هذا الحال حتى تقدمت إليه ونصحته أن يعدل عن تمسكه وإصراره ويسلم الكتب المقدسة للوالى وينجى نفسه، أما هو فابتدأ ينتهرها ويوبخها على محبتها الجسدية ويحبب إليها احتمال الآلام والإستشهاد فى سبيل المسيح، فتأثرت من كلامه وندمت على فعلتها وتقدمت للوالى معترفة جهاراً بالسيد المسيح فأمر بصلبها وزوجها معاً فنالا إكليل الشهادة.

ومن شهداء الكنيسة شاب صغير، يدعى كيرلس، طلب منه والده الوثنى أن يشترك معه فى تقديم العبادة والسجود للأصنام فأبى قائلاً : (إننى لا أعبد سوى يسوع المسيح الإله الواحد) عندئذ حنق والده عليه

وطرده من البيت . وإذ علم الوالى دعا ذلك الشاب أمامه وابتدأ يداعبه ويلاطفه طالباً منه ألا يُغضب والده بل يرضيه بعبادة الأوثان، وإذ وجد منه إصراراً على الرفض، ابتدأ يعده ببعض الهدايا، فقال الشاب : إن طردى من بيت والدى لا يهمنى، لأننى سأمضى إلى بيت أوسع منه وأجمل! وأنا لا أخشى الموت لأنه بدء حياة جديدة فاضلة!!) .

فأمر الوالى أن يربطوه ويسيروا به تجاه النيران المتقدة لعله يرهبها، ولكن هذا لم يجد نفعاً فأعادوه إلى الوالى، فقال له الشاب : لقد أسأتم إلىّ إذ أعدتمونى ثانية وأخرتمونى عن الذهاب إلى إلهى، فأميتونى سريعاً لأمضى إليه حالاً فهو ينتظرنى.

وهنا تأثر جميع الحاضرين وبكوا، فقال لهم : كان الأجدر بكم أن تفرحوا بدل البكاء وأن تشجعونى بدل أن تضعفوا عزمى ببكائكم، وأخيراً سيق إلى النيران وأُلقىَ فيها، فلم تمضِ بضع دقائق حتى أسلم روحه الطاهرة فى يدى أبيه السماوى.

وحوادث كثيرة جداً مثل هذه كانت تحدث فى كل وقت، ولعلنا ندرك مقدار ما تحمله الشهداء مما ذكر فى رسالة أهل أزمير إلى الكنائس، قيل : (إن المعترفين ضربوا ضرباً عنيفاً بالسياط حتى ظهرت عروقهم وأعصابهم وكانوا فى معمعة هذا العذاب المهول ثابتين بلا

ضجر فى حين أن الحاضرين كانوا ينظرون شفقة عليهم، فما كنا نسمع من جند المسيح هؤلاء أدنى صراخ أو أنين، بل بالعكس كنا نشاهد الدماء تجرى من جراحهم بغزارة، ومع ذلك فما كانت ألوانهم تتغير، فكانوا ينظرون مفاصلهم وأطرافهم تتميز بدون أرتياع تقدموا للعذاب بسرور وابتهاج وتألموا وهم صامتون ولم يفتحوا أفواههم إلا ليباركوا الرب ويسبحوه كأنهم ليسوا فى أجسادهم أو منزهين عن الآلام لأنهم كانوا يصغون بالحرى إلى صوت يسوع الذى يناجى قلوبهم ومن فرحهم بحضوره ازدروا بجميع العذابات وعدوا نفوسهم سعداء لإجتناب العذابات الخالدة بإحتمال عذاب بضع دقائق، والنيران التى كانوا يقاسونها كانت برداً بإزاء تلك النيران التى لا تطفأ إلى الأبد، لأن عيون قلوبهم كانت شاخصة إلى الخيرات الفائقة العقول التى يحفظها الله للثابتين، خيرات لم تنظرها عين، ولم تسمع بها أذن، ولم يدركها قلب بشر، والله سبحانه كان يريهم إياها لأنهم لم يبقوا بشراً بل أصبحوا ملائكة.

والذين حُكم عليهم بأن يُطرحوا للوحوش قد قاسوا عذابات شديدة فى الحبوس وهم ينتظرون اليوم المعين لجهادهم، فكانوا يبسطون عراة ملطخين بالدماء على حجارة مسنونة ويجتهد المعذبون بكل أنواع العذاب أن يحملوهم على الكفر بالمسيح وإنكاره، لأن الجحيم لم يدع

طريقاً إلا اخترعها ليستولى بها عليهم لكن الله كان يؤازرهم بنعمته.

وأوسابيوس المؤرخ الشهير الذى زار مصر بعد هدوء الإضطهاد بقليل، أراد أن يصنف ما حل بمسيحى مصر فقال : إنه يعسر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ما تجرعه الشهداء فى صعيد مصر من عذابات قاسية وآلام تشيب من ذكرها النواصى، فقد كانوا يأتون بهؤلاء الشهداء ويخدشون أجسامهم وينزعون عنها الجلد إلى أن ينكشف اللحم وهكذا يفعلون بباقى أجزاء الجسم إلى أن يموتوا، أما النساء فكانت تربط أحداهنَ فى إحدى رجليها وترفع فى الهواء بواسطة آلة مخصصة لذلك بعد أن يخلعوا عنها ملابسها وتظهر أمام جمهور المتفرجين بمظهر تنفر منه الإنسانية وتأباه النفوس الأبية.

وكثيرون ماتوا بواسطة الأشجار وهى أنهم كانوا يقربون غصنين قويين من شجرتين متقاربتين بآلة وضعت لهذا الغرض ثم يجيئون بالشهيد ويربطونه بهذين الغصنين ومن ثم يتركانهما ليعودا إلى أصلها فهذا يعتدل لجهة اليمين مثلاً والآخر للشمال والشهيد بينهما تتمزق أضلاعه وتسحق عظامه سحقاً ويتطاير جسمه فى الفضاء.

إن هذه الحوادث تضع نصب أعيننا دائماً قوة الإيمان، يتجلى فى ثبات أولئك الشجعان الذين فضلوا لذواتهم القتل والتشريد والامتهان

عن أن تمس ديانتهم أو أن تهان. لذلك حق للتاريخ أن يسطر لهم تلك المفخرة بأحرف من نور في كتاب الزمان على مر العصور.

تُرى ماذا كان يفعل أولئك الجدود عندما كانوا طعاماً للحيوانات المفترسة وللأُسود؟

بل كيف استطاعت الأم أن تثبت وهي ترى الجنود يذبحون رضيعها أمام عينيها!؟

وكيف احتمل الأب أن يرى أولاده وبناته يساقون في امتهان أمام ناظريه ليلقى بهم وسط النيران!

هل أثر كل هذا في عزمهم؟ كلا، لم يزدهم إلا ثباتاً إذ "كانوا يسرون ويفرحون لأنهم حسبوا مستأهلين أن يعذبوا من أجل اسم المسيح" (أع ٥ : ٤١).

تأمل فيما قاله أحدهم يثبت شجاعتهم : (فرحوا عندما أمسكهم الظالمون وتودعوا من أقرب الأهل وأعزهم بكل بشاشة ودخلوا في النار بكل فرح، ورحبوا بالموت حين تقدم إليهم ليفترسهم، وتبسموا للآلات الحادة التي مزقت أجسادهم وتقطعت لحومهم وانحلت مفاصلهم بها وانكسرت عظامهم ولم يتذمروا، ولم يظهر عليهم التألم بل طلبوا من أصحابهم أن لا يعترضوا لسعادتهم (أي الموت) في سبيل مخلصهم،

ولو بالصلوات لنجاتهم! كانت آيات السرور الممزوجة بنعمة الله تتلألأ على جباههم والقيود فى أيديهم وأرجلهم كأنها أساور فى يدى عروس).

ثانياً : التاريخ يعيد نفسه :

وهكذا نجد الكنيسة اليوم تجتاز مرحلة من أدق مراحلها فالتجارب والضيقات تصوب إليها من داخلها ومن خارجها والكل يود أن يحوز قصب السبق فى ميدان اضطهادها، ولكن كفانا أن "الرب فى وسطها فلن تتزعزع" (مز ٤٦ : ٥) "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت ١٦ : ١٨) "لأن كل آلة صورت ضدها لا تنجح" (إش ٥٤ : ١٧).

وكأن بالمضطهدين ريحاً عاصفاً، خرج عليها ظانين فى أنفسهم أنه فى الإمكان تشتيت شملها وإفساد غرسها ويذارها.

ثالثاً : بين الماضى والحاضر :

حسبنا أن تتخذ أيها الحبيب من الماضى عظة وعبرة تكفل لك السير فى حاضرك، بما يوصلك فى النهاية إلى طريق النصرة، "أم تستهين بغنى لطف الله وأمهاله وطول آناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟" (رو ٢ : ٤).

لا ترهب الآلام ولا تخف العذاب. إذا اشتدت عليك التجارب فلا تجزع. بل اعلم أن الرب أمين وعادل لا يدعك تجرب فوق ما تستطيع بل سيجعل مع التجربة المنفذ لتستطيع أن تحتمل (١ كو ١٠ : ١٣)، وثق "أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو ٨ : ١٨).

وخير مثل نحتذيه هو تلك المرأة المسيحية الغيورة التى جرت بسرعة فى زمان الإضطهاد، وفوق كتفها ابنها الصغير، وسط صفوف الجند، لتلحق بإخوتها المسيحيين خارج المدينة، لئلا يفوتها جزءاً من الصلاة! فعلت هذا وهى تعلم تماماً إن الوالى قد أمر بإغلاق الكنائس وتشتيت المسيحيين ومنعهم من الاجتماع للصلاة، كما كانت تعرف أن هؤلاء الجنود ماضين فى طريقهم للبحث عن المؤمنين وقتلهم! وعندما أمسكها أحد الجنود وأوصلها إلى القائد قال لها :

س : لماذا تركضين هكذا مسرعة ؟

جـ ـ قالت لكى ألحق بإخوتى المسيحيين خارج المدينة.

س : عجباً ألا تعلمين إننا ماضين إلى هناك لقتلهم وتشتيت شملهم؟

جـ ـ أجابت. إننى أعرف هذا جيداً لذا أركض مسرعة مخافة أن

ينالوا إكليل الشهادة قبلى!

س : وهذا الطفل الذى فوق كتفك ما ذنبه وما جريرته؟

جـ ـ قالت حسبى أن يشارك أطفال بيت لحم الذين قتلهم هيرودس الملك دون أن يقترفوا إثماً ولا معصية.

هذه الحادثة جعلت القائد الوثنى يدرك مدى تمسك المسيحيين بعبادتهم وإيمانهم ومقدار ما وسعته قلوبهم من قوة الإيمان مع الإستهانة بما يأتيهم فى سبيل ذلك من الآلام، وفى الحال عاد أدراجه ومعه جيشه ولسان حاله يقول : (إن أمثال هؤلاء لا يستحقون القتل والتعذيب بل جدير بهم أن ينالوا حريتهم الدينية كاملة غير منقوصة).

الفصل العاشر

من أرثوذكسية الإيمان إلى أرثوذكسية الإستشهاد

كما عاشت كنيسة المسيح في مصر في أرثوذكسية الإيمان، وفي أرثوذكسية السلوك، هكذا قدمت في محبة الإضطهاد أروع صورة من صور الثبات على هذا الإيمان وإذا تذكرنا الآية التي سجلها القديس بولس "لا يكلل أحد إذا لم يجاهد قانونياً"، ثم تذكرنا كيف أن الكنيسة المصرية كُللت فعلاً بأكاليل الشهادة للحق، والصبر على الألم، أدركنا أنها جاهدت الجهاد القانوني فعلاً : أي جهاد حمل الصليب والسير وراء السيد حتى النهاية.

يقول رب المجد : "لو كنتم من العالم لأحبكم العالم" وأيضاً "ها أنا أرسلكم كحملان في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام" (مت ١٠ : ١٦).

أما القديس بولس فقد أكد هذا المعنى بقوله "وهب لنا لأجل المسيح لا أن نؤمن به فقط بل أن نتألم لأجله أيضاً".. لذا كان على الكنيسة أن تمزج إيمانها بآلامها، وأن تقدم في آلامها دلالة على صدق إيمانها.

أما مصر التى قال عنها النبى فى القديم "مبارك شعبى مصر" والتى شرفها رب المجد بزيارته المباركة، فقد كانت فى مقدمة البلاد التى واجهت المحنة فى صبر بل وفى حب متناهٍ حتى شهد مؤرخو هذه الفترة بأن عدد الشهداء المصريين فاق عدد شهداء الكنائس الأخرى قاطبة.

كانت الكنيسة المصرية ـ كنيسة الإسكندرية ـ هى أورشليم الثانية، قلب العالم المسيحى، وعقله المفكر فى العصر المسيحى كان باباواتها ومعلموها ورهبانها بل وشعبها من مختلف الطبقات، ومختلف البلاد؛ مثالاً طاهراً صادقاً لحب الله والفضيلة. كانت ينبوعاً متجدداً للماء الحى : فالإسكندرية كمركز لنشر الإيمان وتعليمه كانت تستقبل الطلاب والعلماء من سائر الأنحاء، وصحارى مصر ترددت فيها أصوات العبادة والترتيل فتحولت إلى جنة مزهرة يأتيها طالبوا الفضيلة ليتتلمذوا على آبائها ونساكها. ولذا كان طبيعياً أن ينطلق منها صوت الكرازة عالياً ليصل إلى أوربا وأفريقيا وآسيا دون ما غرض إلا تعريف الناس بالمسيح.

فلما جاءت محنة الإضطهادات وقفت الكنيسة المصرية موقف المعلم، موقف الأب الذى يقدم نفسه فدية عن أولاده. ونستطيع أن نلمس عدة فضائل استكملها الشهيد المصرى حتى وصل إلى هذه الدرجة المذهلة من الثبات والاحتمال.

أولاً : فضيلة الحب لله :

حباً كاملاً صادقاً .. وإلا فكيف نفسر استماتة شماس مثل : تيموثيئوس ـ بكنيسة الشهيد العظيم مارمرقس الإنجيلى فى الإسكندرية ـ أواخر القرن الثالث ـ فى حفظ كتب الكنيسة حتى أن الوالى فقأ عينيه وقال له (الآن انظر كيف ستقرأ فيها فَردَ : إذ كنت قد أفقدتنى نعمة البصر فإن الله الذى أحبنى يهبنى نعمة البصيرة).

وكان هذا الشماس نموذجاً للكاهن وللشماس، ليس فى العصر الرومانى فقط، وإنما على طول العصور التاريخية فكانت التضحية بالحياة ولا التسليم فى ذبيحة التناول التى كانت مقصد المضطهدين ليطأوها بأقدامهم كانت ذبيحة الجسد والدم تُصان من أى عبث حتى ولو دفع الكهنة والشمامسة حياتهم، وفى هذا كل الحب والإكرام للسيد له المجد.

ثانياً : عمل النعمة فى القلب :

فليس احتمال الإضطهاد بفعل قوة بشرية أو ذكاء إنسانى، ولا حتى بفعل إرادة قوية أو عزيمة جبارة وإنما فاق هذا كله إذ كان بفعل النعمة الإلهية فائقة الطبيعة انظر إلى أوريجينوس الصبى يرسل خطاباً إلى والده فى السجن يطمئنه، ويدعوه إلى الثبات وعدم التردد فى إعلان الشهادة

بالمسيح، بل إنه حاول الخروج ليحظى بشرف مشاركة أبيه لولا دموع والدته التى طلبت منه أن يبقى معها بعد والده...

ثالثاً : عمل القدوة :

وأول قدوة حية هو الكاروز نفسه الذى طاف به الرومان شوارع الإسكندرية حتى استشهد، وتم ذلك تحت سمع وبصر أهل الإسكندرية الذين أتصورهم يتعجبون لهذا الاحتمال الغريب ... وهكذا كان الآباء البطاركة خير مثال لشعبهم فى الصبر والاحتمال. ولذلك كانت كل كنيسة تحرص على تسجيل سير شهدائها لتقرأها على الشعب فى ذكراهم، لا على أنهم ماتوا، وإنما على أنهم وُلدوا واستحقوا أن يرثوا المجد. يتم هذا كله على مسمع ومرأى من الأطفال والشباب فكانوا يشتعلون إيماناً وحماساً وحباً.

وبهذه الطريقة لم تقتصر كنيسة الإسكندرية على أن تعد أبناءها للإيمان فقط وإنما للإستشهاد أيضاً، أى أنها جعلت من أبنائها ليس مجرد مؤمنين وإنما شهداء أيضاً.

وأخيراً فإن هؤلاء الشهداء كانت لهم قوة رجاء عجيبة. فهم مطروحون حقاً لكن غير يائسين، وهم مضطهدون من أجل المسيح يموتون ويعذبون، لكن (غير هالكين) كما يقول القديس بولس، فلم

يكن موكب الشهداء المنطلق من السجن إلى مكان الموت أو الصلب أو الإلقاء للوحوش موكباً حزيناً، بل يدهش المؤرخون الذين ذكروا أنهم كانوا يرتلون وحولهم بقية المؤمنين يشجعونهم ويثبتونهم بل ويقبلون السلاسل المقيدين بها، والشهداء يرتلون ويرنمون متذكرين كلمات الرائى "من يغلب فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى" ، "من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة"، "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه".

هذه الفضائل مجتمعة هى التى تميز الإستشهاد فى المسيحية عن غيره من أنواع الإستشهاد الأخرى إننا هنا أمام قديسين ودعاء يسلمون لمن بعدهم تراثاً روحياً يصل بهم إلى الملكوت، لا يستهدفون مجداً أو صيتاً يحققونه، وإنما اتخذوا "لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح" شعاراً، فلا نعجب بعد ذلك إن كتب أحد القديسين (إننا حنطة المسيح) ندق لنشبع الآخرين، كما كتب آخر (إن دماء الشهداء هى بذار الإيمان... وإنها الرى لشجرة الإيمان)...

وكانت محنة الإستشهاد بعد ذلك :

١ ـ عامل كشف وتفسير عملى للإيمان :

فالقديسون لم يؤمنوا بالمسيح فى خفية عن الأعين، ولكن إيمانهم كان معلناً على الملأ، وقد توجوه باستشهادهم، وكم من آيات ومعجزات أظهرها هذا الإيمان، لعل أهمها وأروعها بقاء هذا الإيمان شامخاً حتى الآن رغم ألوان الإضطهاد التى سلطت عليه.

٢ ـ إنها كانت عامل زيادة إخوة للمسيحين وتماسكهم:

فقد كان المصريون يذهبون إلى فلسطين لتشديد إخوتهم فى فلسطين، وكان بابا الإسكندرية يكتب ـ من مخبئه فى الصحراء ـ رسائل تثبيت للمؤمنين فى كل البلاد، وكانت سير الشهداء تتبادل من قطر لآخر.

٣ ـ وكان الإستشهاد سبب انتشار الإيمان بين الوثنين أنفسهم فزاد عدد المؤمنين، حتى اضطر بابا الإسكندرية إلى سيامة المزيد من الأساقفة لرعاية المؤمنين وتثبيتهم، وكانت الكنيسة دائماً على استعداد لقبول (الذين يخلصون) فكان الرب يضمهم، وكانت (كلمة الرب تنمو وتزداد) ـ اقرأ مثلاً سيرة القديسة بوطامينا العفيفة من الإسكندرية وكيف كان احتمالها سبباً فى إيمان الجندى باسيليدس وإعلانه للحق فى مواجهة رؤسائه، ثم تأمل فى هذه النعمة العظمى التى اقترنت بتجربة الموت فى سبيل الإيمان ...

٤ ـ كذلك أكدت أعمال البطولة التى ظهرت فى هذه المحنة حقيقة روحية هامة وهى :

صلة الكنيسة المنتصرة فى السماء، بالكنيسة المجاهدة على الأرض ... كم من قديسين تراءوا للمؤمنين، كم من رؤى وأحلام مقدسة أكدت هذه الحقيقة الهامة. ولا عجب فالسيد له المجد حين كان يصلى صلاته الشفاعية الأخيرة وطلب إلى الآب قائلاً : "أيها الآب مجد ذاتك" جاءه الصوت "مجدت وأمجد أيضاً" ... بل إن ظهور الملاك للرب يقويه فى الجلجثة كان دلالة على متابعة السماء لجهادنا واحتمالنا .. وهذا ما كان يحدث بالضبط للقديسين المجاهدين لباس الصليب.

وبعد : يقول الرب على لسان إشعياء "لحيظة تركتك، وبمراحم عظيمة سأجمعك" فقد يخيل للبعض أن الرب يتخلى عن كنيسته فى محنة الإستشهاد لكن حاشاه أن يتخلى، إنه ـ حتى ولو لم نكن نحن أمناء ـ يبقى هو أميناً لا يقدر أن ينكر نفسه.

الفصل الحادى عشر

حضور المسيح مع الشهداء وعجائبه فيهم

من الأدلة التى أوردها القديس أثناسيوس الرسولى على صحة قيامة المسيح منح البشرية نعمة الغلبة على الموت لأجله فإنه يقول : (عندما يشاهد المرء بعينيه أن الرجال والنساء والأحداث متسابقون إلى الموت من أجل ديانة المسيح والإيمان به فمن هو ذلك الغبى المتشكك أو عديم العقل الذى لا يرى ولا يدرك أن المسيح الذى يشهد له البشر هو الذى يهبهم بنفسه النصرة على الموت ملاشياً كل خوف من كل واحد يتمسك بإيمانه ويحمل علامة الصليب).

والمقصود بهذه العبارة أن المسيح القائم من بين الأموات قد أثبت أنه حى فى استشهاد الشهداء يمنحهم الشجاعة الخارقة للطبيعة فى مقابلة الموت والعذاب لأجله. ولا يخفى أن القديس أثناسيوس كان من معاصرى اضطهاد دقلديانوس وكان غلاماً عندما رأى الكثيرين من أبناء دينه يذهبون إلى ملاقاة الموت بفرح ورآهم يرتلون ترانيم الغلبة وهم داخلون إلى ساحة الإستشهاد بالنار والسيف والتمزيق بأنياب الوحوش وقد أوردت عبارته لأهمية كاتبها كشاهد عيان.

أجل أن سير الشهداء تدلنا على أن المسيح يحضر معهم ويؤيدهم بنعمة خاصة ويظهر لهم. ألم يظهر لإستفانوس أول الشهداء عندما كان يشهد لأجله؟ ألم يظهر ليوحنا رائى بطمس عندما كان منفياً لأجل الشهادة له ؟

إن عبارة القديس أثناسيوس تذكرنا باستشهاد القديسة "فليسيتا" فى قرطاجنة فى أواخر الجيل الثانى فإنها كانت محبوسة مع سيدتها وبعض المسيحيين (كانت من طبقة العبيد) وكانت حاملاً، فلما جاءها المخاض تألمت وصرخت، فقيل لها إذا كنت تصرخين من آلام الولادة فكيف يمكنك احتمال عذابات الإستشهاد المختلفة؟ فكان جوابها البسيط : الآن أنا أحمل آلامى لوحدى ولكن آلام الإستشهاد يحملها المسيح عنى لأنى أشهد له! واختبار القديسة فليسيتا هو اختبار جميع الشهداء وهو يوضح لنا عبارة القديس أثناسيوس أحسن إيضاح. أجل إن لإختبارات الشهداء قيمة برهانية عظيمة لإثبات صحة المسيحية فإن الرب أظهر عجائبه فيهم. فإن هذه العجائب ظهرت فى أشكال وصور مختلفة منها احتمالهم مختلف العذابات بقوة وصبر ومنها انتزاع الخوف من الموت من نفوسهم ومنها تجردهم من الكبرياء الروحية ومنها منحهم روح الوداعة وتجردهم من روح الإنتقام فأكثرهم ماتوا وهم يصلون لأجل مضطهديهم كما مات الرب نفسه. ومنها معجزات ظاهرة مثل شفائهم

من آثار التعذيب فوراً ومثل ظهور الرب لهم فى الرؤى والأحلام ومثل ظهورهم ـ بعد موتهم ـ لكثيرين وهدايتهم إلى الإيمان.

إن الكلام عن الشهداء يتطلب مجلدات بل ومراجع كبيرة لإحتوائه ونحن نحتفل بذكرى الشهداء وسوف تظل الكنيسة المسيحية تحتفل بذكراهم حتى يجئ الرب وتخضع له كل الأعداء.

إن تاريخ شهداء المسيحية هو أجمل صفحة فى تاريخ البشرية.

لقد كان الشهداء يمثلون جميع فئات المجتمع، كان بينهم علماء وفلاسفة مثل القديس يوستينوس الشهيد الذى كان فيلسوفاً محترفاً قبل اعتناق المسيحية ومات بضرب العنق سنة ١٦٠ م ومنهم القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة فى أوائل الجيل الثالث فلقد كان فيلسوفاً من طبقة أرستقراطية وكان غنياً جداً يمتلك مزارع وحدائق كثيرة وكان عالماً من الطراز الأول وتقدم إلى الموت دون خوف أو وجل.

ومنهم القديس إيريناوس أسقف ليون ومنهم ليونيداس والد أوريجينوس ومنهم فيلياس أسقف توميس المصرى. ومنهم بامفيليوس صديق أوسابيوس القيصرى، ويعوزنا الوقت إذا تكلمنا عن القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية تلميذ الرسل والقديس بوليكاربوس أسقف أزمير والقديس بطرس خاتم الشهداء بابا الإسكندرية وعشرات غيرهم من

الرعاة والبطاركة والأساقفة الذين نالوا قسطاً وافراً من التعليم والثقافة. أجل إن الشهداء كانوا من كل الفئات ومن كل نوع ومن كل سن ومن كل شعب ومن كل طبقة.

فمن النساء القديسات اللواتى استشهدنَ لأجل المسيح نذكر أشهرهنَ القديسة بوطامينا ووالدتها القديسة مارسلا وكانا من عائلة شريفة وقد وصف أوسابيوس استشهادهما والمعجزات التى عملها الرب بعد موتهما فإنه حكم عليهما بالموت بالحرق فى إناء مملوء من الزفت المغلى وكان المكلف بتنفيذ الإعدام بهذه الصورة المروعة ضابط رومانى اسمه باسيليدس فتأثر لثباتهما ومظاهر النعمة عليهما فعاملهما برفق ومنع الرعاع من التفرج عليهما فقالت له بوطامينا أنا ذاهبة إلى سيدى وسوف أطلب منه أن يهديك إلى الإيمان وقد ظهرت له فى رؤيا فى الليل فآمن بالمسيح وفى اليوم التالى أعلن إيمانه فحكم عليه بالموت بقطع الرأس فنال إكليل الشهادة.

إن هذه القديسة ظهرت لكثيرين من الوثنيين فآمنوا بالمسيح وأعلنوا إيمانهم (حدث هذا فى الإسكندرية سنة ٢٠٢م).

ومن أجمل الصفحات فى أخبار الشهداء الرسالة التى كتبها أعضاء كنيسة ليون فى فرنسا إلى جميع الكنائس فى شكل منشور هذه الرسالة محفوظة برمتها فى تاريخ أوسابيوس وقد نقلها كلها إرينان الناقد

الفرنسى فى كتابه عن مرقس أوريليوس القيصر الرومانى. وقد وصفها رينان بأنها جوهرة الكتابات المسيحية فى الكنيسة الأولى لبساطة أسلوبها وهدوئها فهذه الرسالة تصف لنا أنواع العذاب التى احتملها شهداء مدينة ليون بفرنسا (وهى ليون الحالية) فى خلال سنة ١٧٧م فى عهد القيصر مرقس أريليوس الملقب بقديس الوثنية وقد كان عدد أولئك الشهداء عظيماً وكان بينهم غلمان لايزيد عمرهم عن ١٤ سنة ومنهم القديس بوثينوس الذى أدرك العقد العاشر من عمره وأشهرهم القديسة بلاندينا وهى سيدة ضعيفة احتملت كل أنواع التعذيب من التقطيع والحرق والتعرض للنيران وكانت فى تلك الظروف كأنها لاتشعر بألم. وتذكر تلك الرسالة أربعة بصفة خاصة منهم من تألم بالقلى على كرسى حديد محمى إلى درجة الإحمرار، ولما لم تأتِ أنواع التعذيب بأية نتيجة أعدموا بوسائل مختلفة وبعد موتهم خاف الوثنيون أن يعودوا للحياة مرة أخرى فعرضوا جثثهم لطيور السماء بضعة أيام وبعد ذلك أحرقوا الجثث وألقوا برمادها فى نهر الرون لزعمهم أن من يموت مثل هذا الموت لا يعد أن يرجع للحياة مرة أخرى!

ومن مشاهير الشهداء الذين أجرى الرب المعجزات بواسطتهم القديسة "بربتوا" فى قرطاجنة فى أوائل الجيل الثالث وقد كانت هذه السيدة من أسرة نبيلة وكانت متزوجة وكانت أماً لطفل حديث الولادة وكان والدها

وثنياً فلما أعلنت إيمانها بالمسيح اعتقلت فى السجن مع أربعة آخرين منهم القديسة فليسيتا السابق ذكرها وعبثاً حاول والدها أن يحملها على الإرتداد وقد ذكرت فى الكتابات التى تركتها أن الرب أراها الفردوس ولقد رأت رؤى سماوية أخرى وبعد أن تعرض هؤلاء الشهداء لمختلف العذابات مثل التقطيع والحرق والتعرض للوحوش والثيران الضارية أعدمهم المصارعون بالسيوف فى أحد الأعياد العمومية.

ولا يفوتنا أن نذكر شيئاً عن شهداء مصر فى عهد دقلديانوس وبصفة خاصة شهداء الصعيد فلقد وصف أوسابيوس ما لاقوه من ضروب التعذيب المختلفة قال : إن المعترفين كانوا يأتون إلى الحكام أفواجاً ويعترفون بالمسيح (كان منشور القيصر أنه يجب على جميع المواطنين أن يقدموا بخوراً لتمثال القيصر ولتماثيل الآلهة ومن يتخلف يحكم عليه بالإعدام) فجرب الولاة جميع أنواع العذاب واخترعوا آلات تمزيق المفاصل وتقطيع الأوصال وجربوها على الرجال والنساء والأطفال ولما يئسوا كانوا ينفذون حكم الإعدام بالسيف فكانوا يقدمون كل عشرين دفعة واحدة وأحياناً كل ستين وكلما أعدموا فئة تأتى فئة أخرى من تلقاء نفسها وتعترف باسم المسيح (انظر تاريخ أوسابيوس الكنسى الكتاب الثامن الفصل التاسع) ولم يرحم المضطهدون طفلاً أو شيخاً أو امرأة.

وهنالك نقطة هامة أدهشت مؤرخى المسيحية مثل الأستاذ أدلف فون هرنك الألمانى (أستاذ تاريخ العقائد المسيحية فى برلين) وهى وجود عدد كبير من الشهداء مع سهولة الخلاص من الموت فلقد كان فى إمكان المسيحى أن يخلص من الموت بحركة بسيطة أو بكلمة بسيطة كما يقول هذا الأستاذ يقصد أنه كان يمكن للشهيد أن يخلص وينجى من الموت بإلقاء حفنة من البخور أمام التماثيل أو بالقول أنا لست مسيحياً وكفى فكان يخلى سبيله فى الحال لكن هؤلاء فضلوا خسارة كل شئ فى الدنيا على أن يخسروا المسيح وقد كافأهم الرب بأثمن شئ وهو ظهوره لهم فى إبان محنتهم وتخفيف آلامهم وتمكينهم من رؤية المجد العتيد أن يستعلن فيهم.

+ والآن نأتى إلى النقطة الهامة وهى سبب ثبات هؤلاء الشهداء وما هو سر غلبتهم؟ وما هو سبب زهدهم فى الحياة الحاضرة؟ وبأى قوة استطاعوا أن يتحملوا تلك الآلام والتضحيات؟ والجواب على ذلك بسيط : إنهم زهدوا فى حياة الدنيا لأنهم وجدوا حياة أفضل فهم من الذين تصفهم رسالة العبرانيين بأنهم ذاقوا قوات الدهر الآتى ورأوا السموات مفتوحة والملائكة يصعدون وينزلون على ابن الإنسان وكثيرون منهم اختبروا هذه الأشياء حرفياً لفرط الإعلانات كما يقول الرسول بولس أعنى بمناظر الرب وإعلاناته فلقد ذكرنا القديسة بربتوا وجاريتها

القديسة فليسيتا. فهذه القديسة كتبت اختباراتها في يوميات عندما كانت في السجن وقد احتفظت الكنيسة بتلك اليوميات وقد دونت فيها الإعلانات السماوية التي أعلنها لها الرب هي وجاريتها.

تلك الإعلانات التي حولت السجن إلى قطعة من السماء فلقد أراها الرب الآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها وكثيرون من الشهداء كلمهم الرب بالأحلام نذكر منهم القديس كبريانوس السابق ذكره وهو أسقف قرطاجنة الغني فإن الرب أراه أنه سوف يموت بالسيف بعد يوم واحد ففهم أنه سوف يستشهد بعد سنة واحدة فرتب أموره بناء على هذا الحلم وعندما مرت السنة قُبض عليه وصدر الحكم عليه بقطع الرأس إذا أصر على البقاء على إيمانه ونصحه القاضي أن يفكر وأعطاه مهلة للتفكير بضعة أيام فقال له لا داعي للإنتظار. فلقد فكرت ويمكنك تنفيذ الحكم الآن.

ومن الذين كلمهم الرب بالأحلام القديس بوليكربوس الذي أعلن له الرب كيفية موته.

وأرغب أن أذكر شيئاً عن محاكمة القديس يوستينوس الشهيد العالم الفيلسوف فإن القاضي سأله متهكماً هل تظن إني إذا أعدمتك الآن تذهب إلى المسيح فكان جوابه لست أظن ولكني متأكد من ذلك.

ما سبب هذا اليقين وهذا التأكيد؟ نجد الجواب على ذلك فى عبارة جميلة تصف حياة القديسة بلاندينا شهيدة ليون السابق ذكرها.

فبعض هؤلاء الشهداء رأوا الرب فى المناظر والإعلانات وبعضهم اختبروه فى قلوبهم فالذين أشرق عليهم الرب بنور وجهه لا يمكنهم أن يخسروه مهما كانت التضحية ومهما كانت الآلام.

فهؤلاء الشهداء رأوا المسيح كما رآه بولس الرسول ولذلك أمكنهم أن يقولوا معه : "من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف .. فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو ٥ : ٣٦).

الفصل الثانى عشر

أعياد العذراء والرسل والقديسين والشهداء

نشأت المسيحية والإضطهادات تنتابها والدول تحاربها وذوى السلطة يقاومونها ويعملون على ملاشاتها وإطفاء نورها ولكن "الله فى وسطها فلن تتزعزع" (مز ٤٦ : ٥، إش ١٢ : ٦) "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت ١٦ : ١٨).

فلم تنقض الإضطهاد لها عماداً. ولم تهزم الدول لجيش انتشارها كتيبة ولا أطفأت عواصف الأهواء لنورها مصباحاً بل ما كانت تلك المقاومات وهاتيك الإضطهادات إلا لتزيدها انتشاراً ولمعاناً كالشمس ممزقة حجب السحاب. هازئة بسجوف الضباب فكانت تلك الدماء التى أريقت لتربتها الخصبة فأينعت نفوساً طاهرة. ولأولئك البررة الأطهار الذين لاقوا العذابات الفادحة والآلامات المبرحة من الظلمة الأشرار وقُدمت أجسادهم طعاماً للنار ـ عمداً تركبت على صخر الدهور يسوع فاثبتتها القوة الإلهية حصناً منيعاً ومعقلاً قوياً يركض إليه المسيحيون إذ باتوا هيكل الروح القدس وأعضاء المسيح. وذلك التعليم الخلاصى أصبحوا شموعاً مستها نار التجربة فازداد نورها قوة وأبصرها الدانى والقاصى. فهرعت إليها الأمم والشعوب من مشارق الشمس إلى مغاربها

هرباً من ليل الكفر الحالك فاستضاءت نفوسهم وأجسادهم معاً. نفوسهم بالدين القويم وأجسادهم بالحياة المقدسة والعيشة الصالحة. وتم لهم بذلك الخلاص لأن الخلاص قائم على قاعدتين هما "الإيمان، والأعمال الصالحة" (غلاطية ٥ : ٦ ، يعقوب ٢ : ١٨). إلخ.

والكنيسة التى اقتناها الله بدمه علمت ولم تزل تعلم أن الله عجيب فى قديسيه فلكى تنمينا فى النعمة عينت أياماً دون أخرى للانقطاع التام عن الأعمال للفروض الروحية والتحدث بأخبار أولئك المجاهدين المنتصرين الذين "جاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعى وحفظوا الإيمان وأخيراً حفظ لهم إكليل المجد الذى لا يبلى" (٢ تيموثيئوس ٤ : ٧ ، ٨؛١ بطرس ٥ : ٤) وهم سيلتفون حول عرش الله "ويتبعون الخروف حيثما ذهب" (رؤيا ١٤ : ٤).

قد رتبت الكنيسة منذ القديم الاحتفال بذكرى أولئك الأبطال إعتماداً على تعليم الكتاب وإستناداً على ما تسلمته من الرب يسوع نفسه ورسله القديسين، فقد قال الوحى بلسان النبى : "ذكرى الصديق تدوم إلى الأبد" (مزمور ١١٢ : ٦) وقال بلسان الحكيم "ذكر الصديق للبركة" (أمثال ١٠ : ٧) ودوام ذكر الصديق بالإجماع لا يكون إلا بصنع التذكارات لهم فى أيام معينة. إحياء لإسمهم وتخليداً لذكرهم.

وذلك بعمل الرحمة على اسمهم (مت ١٠ : ٤٠-٤٢، مر ٩ : ٤١) وبحفظ صورهم وأقوالهم وتعاليمهم.

هذا وفى العهد الجديد أن الرب يسوع مدح عمل المرأة التى أفاضت الطيب على جسده المقدس ولم يكتفِ بذلك بل أمر رسله ومن أخلفهم من بعدهم بإذاعة خبرها والتحدث بعملها بقوله : "حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها" (مر ١٤ : ٩) وقال الرسول : "اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم" (عب ١٣ : ٧) ولا يخفى أن بعض هؤلاء المرشدين كانوا قد رقدوا فى الرب مثل يعقوب الكبير أخى يوحنا والقديس إستفانوس والقديس يعقوب الصغير أسقف أورشليم وكيف نذكر أولئك ونتأمل فى سيرتهم لنتمثل بإيمانهم ؟ أليس بتذكرنا تاريخ حياتهم وما لاقوه من العذابات المُرة لأجل المسيح. وقد قال يوحنا ذهبى الفم (أنه لا شئ أنفع لنا من التأمل بسيرة القديسين وإعادة التبصر والتروى فى أعمالهم).

ولقد أجمعت الشرائع المدنية على إكرام من أتى عملاً جليلاً أفاد أمته ونفع وطنه. وكل الشعوب والأمم على اختلاف نزعاتها وتباين معتقداتها تقوم بهذا الواجب نحو أفرادها العظام الذين خدموها وكانوا علة عظمتها ورقيها. فنصبت لهم التماثيل واحتفظت بأقوالهم وصارت

تحتفل بذكراهم سنوياً فى أيام معينة. إعترفاً بفضلهم وتخليداً لذكرهم وهذا الواجب نفسه تأمر به الشريعة المسيحية (رومية ١٣ : ٧) ولا سيما من نحو رجالها القديسين الذين خدموها وجاهدوا فى إعلاء كلمتها ورفع شأنها (١ كو ١٦ : ١٦ ، فيلبى ٢ : ٢٩ ، ١ تيموثيئوس ٥ : ١٧ ، عبرانيين ١٣ : ١٧).

وإذا كان أهل العالم يحتفلون بذكرى أبطالهم ومشاهير علمائهم ونوابغ شعرائهم وكبار فلاسفتهم ويقرنون ذكرهم بالمديح والإطراء والإعجاب والثناء المستطاب ـ أفلا يجب على الكنيسة أن تحتفل بذكرى أبطالها الروحانيين وجند الرب الصالحين الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل تشييد المسيحية ورفع منار الإنجيل وإعلاء شأن الإيمان القويم وحفظوا لنا هذه الذخيرة التى نتمتع بها الآن بلا تعب ولا عناء (رومية ٦ : ٩ ، ١٢ : ١١).

بل إذا كان الله نفسه كتب سفر تذكرة للذين اتقوه وللمفكرين باسمه وذلك للتمييز بين الصديق والشرير وبين من يعبد الله ومن لا يعبده (ملاخى ٣ : ١٦)فكم أحرى بالكنيسة أن تقوم بهذا الواجب نحو هؤلاء القديسين الأفاضل الذين جعل كل مسرته فيهم (مزمور ٦ : ٣) والذين تساموا بالفضل والقداسة وارتقوا أسمى درجات الفضيلة بل أحبوه حتى الموت ولم يحسبوا أنفسهم ثمينة بل بذلوها من أجله وهى

أعز ما يملكون ومن أجل ذلك أهلهم لشركة ميراث القديسين فى النور (كولوسى ١ : ١٢) وحفظ لهم إكليل المجد (١بطرس ٥ :٤) وجعل لهم أسمى مقام فى دياره (يوحنا ١٤ : ٣ ، ١٧ : ٢٤).

بل جعل لهم حظ الجلوس معه فى عرشه (رؤ ٣ : ٢١ ، ٧ : ١٥) وأشركهم معه فى مداينة الناس والملائكة (متى ١٩ : ٢٨ ، ١ كورنثوس ٦ : ٢ ، ٣) لأنهم يستحقون (رؤيا ٣ : ٤).

إن الله تبارك اسمه صرح بإكرام قديسيه (خروج ٢٣ : ٢٠ ,٢١ ، مزمور ١٠٥ : ١٤ ، ١٥) وحسب إكرامهم إكراماً له واحتقارهم إحتقاراً له (لوقا ١٠ : ١٦ ، ١ تسالونيكى ٤ :٨) بل أكرمهم فى أعين شعبه (تكوين ٢٠ : ٧ ، عدد ١٢ : ٧ ، ٨ ، ٢ ملوك ١ : ١٤ ، ١٣ : ٢١ ، أيوب ٤٢ : ٨ ، متى ١١ : ٩-١١) بل أكرم كل أثر من آثارهم وحذر من إهانتهم (تك ٣١ : ٢٤) قائلاً : "لا تمسوا مسحائى ولا تسيئوا إلى أنبيائى" (مزمور ١٠٥ : ١٥) وأن "من يمسهم يمس حدقة عينه" (زكريا ٢ : ٨) "والذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً" (٢ تسالونيكى١ : ٦).

وفعلاً عاقب الذين أهانوهم سواء فى حياتهم أو بعد موتهم (تك ٤ : ١٢ ، عدد ١٢ : ٩ ، ١٠) وكذلك شعبه (تك ٨ : ٢ ، ١٩ : ٢ ، يشوع ٥ : ١٤ ، ١ ملوك ١٨ : ٧ ، ٢ ملوك ٢ : ١٥ ، ٤ : ٣٧ ، ٢٣ : ١٧ ، ٢ أخبار الأيام ٢٢ : ٢٣) ـ أفلا يجب أن تتبع الكنيسة أوامر الله وتتمثل

به وتقتدى بأولاده فى إكرام هؤلاء القديسين الذين عاشوا كغرباء فى العالم "والعالم ذاته لم يكن مستحقاً لهم" (عبرانيين ١١ : ٣٨).

وأخيراً ماتوا حباً فى الرب وكان موتهم "كريماً فى عينيه" (مزمور ١١٦ : ١٥) وكذلك دمهم المسفوك لأجل اسمه (مزمور ٧٢: ١٤) "ومن أجل كلمة الله" (رؤيا ٦ : ٩) وأى غضاضة عليها إذا هى قامت بهذا الواجب نحوهم إيفاء بحقهم (إشعياء ٥: ٢٣).

إن عظمة الكنيسة التى يستفيد منها كل واحد من بنيها لم تقم إلا بمساعدة الله على يد هؤلاء الكواكب الساطعة الجديرين بالإكرام الفائق ــ الذى لا يجازى به عامة الناس ــ إعترافاً بفضلهم ــ فهل نضن عليهم بهذا الجزاء القليل أم نقدرهم قدرهم ونعطيهم من الكرامة ما يستحقون؟

إن الكنيسة مدينة لهؤلاء الأبطال الذين أناروها بتعاليمهم وثبتوها بدمائهم وكانت دماؤهم بذاراً لها فهى ترى أن من الواجب عليها أن تحتفل بذكراهم إقراراً بجميلهم وتخليداً لذكرهم حسب تعليم الكتاب المقدس. نعم وهى لأجل ذلك تقيم هذه التذكارات منذ القدم كما تسلمت من الرسل أنفسهم بدليل ما جاء فى الأوامر الرسولية، وأقوال الآباء، وشهادات البروتستانت.

أولاً : الأوامر الرسولية :

قد جاء فيها مانصه (فليمتنعوا عن العمل فى أعياد الرسل وفى عيد إستفانوس أول الشهداء وفى أعياد القديسين الذين فضلوا المسيح على حياتهم (رأس ٣، دسق ٣١ والمجموع وجه ٢٠٠- ٢٠٣).

ثانياً : أقوال الآباء :

كثيرة نذكر بعضها : جاء فى رسالة أزمير التى كتبت فى استشهاد القديس بوليكاربوس أسقفها تلميذ يوحنا الرسول ـ ليحتفلوا بالفرح والسرور عند استشهاده وذكروا لمن ماتوا بالجهاد المجيد وتذكرة وتثبيتاً للخلف بمثال كهذا. وقال الذهبى فمه : نحن الآن نكمل تذكار الشهداء لأن تذكار الشهداء موجود وأنت متكاسل. قد كان لك أن تحضر فى هذا الميدان الروحانى لتنظر الشيطان كيف هو مغلوب والقديس غالب. م ٣١ وقال فى م ٢٦ : وُهبْتَ رجلين لتمشى بهما فى طريق الأعمال الصالحة أعنى زيارة المرضى والمسجونين والكنائس فى تذكار الشهداء. وقال القديس غريغوريوس : إن ذكر الرجل الصالح هو ذاته بركة وتقديس وأمر عظيم للتحريض على الفضيلة.

ثالثاً : شهادة البروتستانت :

قد قال لينين أحد علمائهم فى كتاب مذهبه اللاهوتى : (ولهذا إذ

نكرم القديسين فيجب أن نفهم ذلك بالمعنى الذى قيل فى الكتاب. إن خلانك مكرمون يا الله. وسبحوا الله فى قديسيه وقالوا فى المدافعة عن قانون الإيمان المطبوع فى أوغنسطا (إن قانون إعترافنا يثبت تكريم القديسين فإن هذا التكريم يمكن إثباته من ثلاثة أوجه الأول أن التكريم شكر لله لأنه أبدى مثالاً لرحمته وأبان أنه يريد أن يخلص الناس وأنه جعل ملاقاته أصحاب مواهب فى الكنيسة وهذه المواهب من حيث هى عظيمة فيلزم تعظيمها ومدح القديسين الذين استعملوها إلخ).

وموسهيم بعد أن تكلم على الأعياد فى الكنيسة الجامعة. قال أضف إلى هذه الأعياد أعياد أخرى اعتنق فيها الموت رجال قديسون لأجل المسيح التى بالأكثر احتمالاً كانت أياماً مقدسة وعظيمة منذ ابتداء الديانة المسيحية ك ١ قرن ٢ ف ٤ وجه ٤٢.

وقال صاحب ريحانة النفوس بما أن الشهداء كانوا مكرمين جداً لأجل ثباتهم وتقديم حياتهم لأجل المسيح وإنجيله نجد أخباراً عن أيام مكرسة لأجل تذكار استشهادهم وأقدمها كان لتذكار بوليكاربوس الذى مات شهيداً وربما يوم تذكار موته ابتدأ فى الجيل الثانى سنة ١٩٧ م ثم حفظت بعد ذلك أعياد لغيره من الشهداء وجه ٢٠ إلى أن قال : وهذه الأيام كانت تحفظ حول مدافن الشهداء وكانت هناك تقرأ قصصهم

وتقدم لهم المدائح وتجرى فرائض العبادة ويصنع سر الإفخارستيا ويولم الأغنياء ولائم وجه ٢١ .

وجاء فى كتاب تاريخ الإنجليز المطبوع سنة ١٨٣٩م وكانوا يكرمون الشهداء ويعبرون عن ذكر يوم وفاتهم بمولدهم ويعيدون الأعياد عند قبورهم بغاية السرور والمحبة والإحسان.

إن كنيسة أزمير قالت فى شأن استشهاد بوليكاربوس أسقفها أنه بعد أن توفى أراد كثير من المسيحيين أن يضعوا بقية جثته فى مقام كريم فرفض اليهود ذلك وقالوا (كما يقول البروتستانت) لعل النصارى ينسون معلمهم المصلوب ويعبدون بوليكاربوس، قالت وإنما فعلوا هذا وهم لم يعلموا أن من المحال أن نترك المسيح الذى مات لأجل خلاص الناس ونعبد غيره فأما عبادتنا له فلأنه ابن الله وأما الشهداء تبعه وتلامذته فإنا نحبهم كما يليق بهم لأنهم اقتدوا بمثال زعيمهم ومرشدهم ونود أن نكون نحن أيضاً مرافقين لهم وعاملين أعمالهم أ هـ . ق ٢ قسم ٢ : ف ٥ وجه ١٠٠ ، ١٠١ وجاء فى كتابهم القواعد السنية (بينما كان أهل أزمير يعيدون لأسقفهم الشهيد بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول أدعى عليهم اليهود بالعبادة الوثنية فأجابوهم برسالة مفندين هذا الإدعاء بما لفظه (إن هذا من الأمور المستحيلة لأن المسيح إنما هو موضوع

العبادة ولا يمكن غيره أن يحل محله وله وحده نقدم سجودنا وأما الشهداء فهم موضوع مديحنا ومحبتنا أهـ وجه ١٠٠).

غرض الكنيسة من هذه الإحتفالات

لا يخفى أن الناس فى كلِ زمانٍ ومكان يحتفلون بالأعياد المدنية والغرض من إحيائها والاحتفال بها معلوم وهو تذكير الأحياء بمآثر وأعمال النابغين الذين أفادوا الهيئة الاجتماعية بثمرات قرائحهم وبنتائج مجهوداتهم. كذلك الكنيسة تحتفل بأعياد رجالها القديسين على دعائم الدين القويم والإيمان الصحيح وتنبيهاً وعظة للمتأخرين وترغيباً لهم فى الجرى على خطتهم.

أولاً : إحياء لإسمهم، وتجديداً لذكرهم. وتخليداً لآثارهم (مزمور ١١٢ : ٦).

ثانياً : إعترافاً بفضلهم، ومكافأة لهم على أتعابهم.

ثالثاً : لكي نتذكر أعمالهم التى آلت لمجد الرب وخير كنيسته فنمجد الرب ونشكره على نعمته وقدرته التى تلألأت فيهم وعجائبه التى صنعها بواسطتهم (مزمور ١٥٠ : ١).

رابعاً : لتقربهم من الله الذى جعل كل مسرته بهم (مزمور ١٦ : ٣) وكونه دعا ذاته بإسمهم (متى ٢٢ : ٣٢).

خامساً : الدلالة على أنهم وإن ماتوا فهم أحياء (لوقا ٢٠ : ٣٨، عبرانيين ١١ : ٤) بخلاف الأشرار (مزمور ١٠ : ٤، ٩ : ٥، ٦).

سادساً : إعترافاً منا بالحياة الأبدية التى فيها ينالون المجد الذى لا يبلى (١ بطرس ٥ : ٤).

سابعاً : إحياء لذكر الفضيلة التى لبسوها كثوب فيعرف المسيحيون أن الفضيلة مكرمة وأصحابها مكرمون لدى الله والناس على الأرض وفى السماء.

ثامناً : تمييزاً لهم عن الأشرار كما ميزهم الله فى الدنيا (ملاخى ٣ : ١٧، ١٨) وسيميز بينهم فى الآخرة كما يميز الراعى الخراف من الجداء فيقول "للأشرار اذهبوا عنى .. وللأبرار تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (متى ٢٥ : ٣٢ - ٣٤).

هذا أما أعياد العذراء فما قلناه عن أعياد هؤلاء نقوله عنها ونزيد بأن الكنيسة تحتفل بها.

١ ــ إكراماً لها للنعم التى نالتها بما أنها والدة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

٢ ــ تمثلاً بالرب نفسه الذى أكرمها بخضوعه لها (لوقا ٢ : ٥١) وبإجابة ملتمسها فى عُرس قانا الجليل (يوحنا ٢ : ٥) وبإعتنائه العظيم

بها وهو على الصليب (يو ١٩ : ١٦ ، ١٧) وسر بإكرامها ووعد بالغبطة للذين يحذون حذوها فى حفظ شريعة الله (لو ١١ : ٢٧).

٣ ـ تنفيذاً لنبوتها بأن جميع الأجيال تطوبها لأن القدير صنع بها عظائم (لوقا ١ : ٤٨ ، ٤٩).

٤ ـ إقتداء بأولاد الله الذين أكرموها بإرشاد الروح القدس (لوقا ١ : ٤٢ ، ٤٣).

والبروتستانت يعترفون ويسلمون معنا بوجوب إكرامها. قال صاحب ريحانة النفوس (بما أن العذراء المباركة هى والدة مخلصنا يسوع المسيح وفى ذاتها طاهرة وقد نالت نعمة من عند الرب فهى تستحق منا الكرامة) وجه ٢٤.

الفصل الثالث عشر

شهود وشهداء فى التاريخ المسيحى

يحفل تاريخنا الكنسى بالعديد من موجات الإضطهاد كان أقساها فترة اضطهاد الدولة الرومانية بداية من اضطهاد نيرون للمسيحيين عام ٦٤ إلى عام ٣٠٥م بإنتهاء عصر دقلديانوس وقد تعددت أسباب اضطهاد الدولة الرومانية للمسيحيين.

أولاً – اضطهاد المسيحية ... لماذا ؟ :

١ ـ جاءت المسيحية بمفاهيم دينية جديدة عما درج عليه الوثنيون فلم تأمر المسيحية بالبغضاء ولم تفرض على المواطن أن يبغض الأجنبى بل دعت إلى المحبة ولم يعد الأجنبى يدنس المعبد أو ينجس القربان لمجرد حضوره بل صار إله المسيحيين أباً وإلهاً لكل من يؤمن به.

٢ ـ بينما كان لكل بلد أو أقليم وثنى معبوده أو معبودته ظهرت المسيحية للعالم أجمع والخليقة ككل ودعت العالم كله أن يتبع إلهاً واحداً هو السيد المسيح وشريعته الجديدة المعلنة فى الإنجيل والتى أرسل تلاميذه للكرازة بها قائلاً : "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مر١٦ : ١٥).

٣ ـ دعت المسيحية لفصل الدين عن الدولة حيث كانت الديانة والدولة شيئاً واحداً فكل شعب يعبد إلهه وكل إله يحكم شعبه بينما جاءت المسيحية تنادى بفصل الدين عن الدولة كقول السيد المسيح :

"اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (مت٢٢ : ٢١) بمعنى أن طاعة قيصر لم تعد هى ذاتها طاعة الله فللدولة نظمها ولوائحها وتشريعاتها وللمسيحية وصاياها وقيمها ومُثلها العليا.

٤ ـ إصدام المسيحية بالفلسفة الوثنية فالمسيحية جاءت تنادى بإنجيل المسيح والحكمة السماوية وبساطة القلب بعكس الفلاسفة الوثنيين.

ثانياً ـ المسيحيون فى مواجهة الإضطهاد :

لاقى المسيحيون أقسى صنوف الإضطهاد لكنهم كانوا يتدافعون إلى حلبات الإستشهاد من أجل المسيح لعدة أسباب منها.

١ ـ إحساس المسيحى أن هذا العالم وقتى بالقياس إلى الحياة الأبدية كما جاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى "العالم يمضى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد" (١يو٢ : ١٧).

٢ ـ إحساس المسيحيين أنهم غرباء فى هذا العالم كما جاء فى رسالة القديس بطرس الأولى "أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس" (١بط٢ : ١١).

٣ ـ إيمان المسيحيين بأن نهاية ضيقات وأحزان وآلام هذا العالم تؤول إلى مجد عظيم فى السماء تنفيذاً لقول السيد المسيح. "ومن يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية" (يو ١٢ : ٢٥) ولذلك زهد المسيحيون فى كل شئ مادى عالمى واستهانوا بالعالم الحاضر من أجل الحياة الأبدية وتدافعوا أمام الولاة والملوك لإعلان مسيحيتهم وتقبل صنوف العذاب والألم والإستشهاد بكل فرح للإنطلاق إلى المجد السماوى.

فما أحلى سير الشهداء الأبطال أنها روائح ذكية يشتمها الكبار والصغار فتنتعش أرواحهم ويسرى فى دمائهم أكسيد الحياة فتقوى أرواحهم وتنقى قلوبهم وتتشدد نفوسهم وأرواحهم مشاعر الشجاعة فيثبتون ولا يلينون أمام الضوائق والشدائد وفى أزمنة الإضطهاد ونأخذ أمثلة لهؤلاء القديسين الشهداء أباكير ويوحنا والثلاث عذارى ثيؤدورا وثاؤبستى وثاؤذوكسيا وأمهنَ اثناسيا.

والذى عرفت ضاحية أبى قير بالإسكندرية على اسمه كان أباكير طبيباً مسيحياً نابغاً، وكان يوحنا ضابطاً لامعاً. جمعتهما الصحراء معاً كما جمعهما إكليل الشهادة أيضاً فى القرن الرابع الميلادى.

أما هؤلاء العذارى ثيؤدورا ومعناها عطية الله وثاؤبستى وتفسيرها أمانة الله، وثاؤذكسيا ومعناها مجد الله فقد تؤمن حياتهنَ على مذبح الحق

مستشهدات على اسم المسيح مع أمهنَ اثناسيا.

بركة هؤلاء الشهداء والشهيدات ترافقنا فى غربتنا وتجعل لنا من هذه السير قدوة ومثالاً.

الفصل الرابع عشر

بوليكاربوس أسقف أزمير

وُلِد هذا القديس فى الربع الثالث من القرن الثانى والراجح أن مولده فى أزمير وقد عاشر هذا الرجل الرسولى كثيرين من الرسل وبالأخص يوحنا وتلمذ كثيرين منهم إيرمناوس أسقف ليون وقيل أن هو ذلك الملاك الذى كتب له يوحنا رسالة بأمر الرب إذ قال له: "اكتب إلى ملاك كنيسة سميرنا" (رؤ ٢ : ٨) وكان راعياً غيوراً على رعيته ومن كثرة مقته لعبادة الأوثان أراد الوثنيون قتله فلما عرف المسيحيون هذه النية الخبيثة طلبوا إليه بلجاجة أن يتوارى عن العيون ففعل ذلك وجعل يقضى كل أوقاته يصارع ليلاً ونهاراً مع الرب بالصلاة من أجل الرعية والكنائس فى كل العالم. وإذ كان يصلى رأى فى رؤيا ليلاً أن الوسادة التى تحت رأسه تحترق فجأة ثم التهمتها النيران فصرح بكل وضوح لمن كانوا معه بأنه من الضرورى له أن يموت بالنار من أجل المسيح. وبعد ثلاثة أيام من الرؤيا أتى الجند ليقضوا عليه فسلم ذاته لهم مع أنه كانت له فرصة للهروب ثم وضع لهم طعاماً وجثا على ركبتيه وصلى وشكر الرب على إحسانه فتعجبوا من ثباته ووداعته وبشاشته. ولما اقتيد إلى الوالى شرع يلاطفه ويستميله إلى عبادة الأوثان قائلاً: "احلف فأطلق سراحك. اشتم المسيح" فردَ عليه القديس قائلاً: "ستة وثمانين سنة أخدم

المسيح سيدى ولم يفعل لى ضرراً فكيف أجدف على ملكى الذى خلصنى" ثم ضيق الوالى عليه الخناق قائلاً: "إن لم تطع أمرى فستحرق حياً أو تلقى إلى الوحوش" فأجابه القديس " أما نارك فلا تحرقنى إلا لحظة فقط وأما الوحوش التى تهددنى بها فدعها تأتى إلىّ "

حينئذ أمر الوالى المنادى أن ينادى بين الجموع أن بوليكاربوس اعترف أنه مسيحى ففعل وللحال صاح الجمع قائلاً: "هذا هو عدو الآلهة.. هذا هو أبو المسيحيين ورئيسهم اطرحوه للوحوش أو فليحرق حياً بالنار". فأمر الوالى بحرقه وأعد له الحطب فلما تم ذلك خلع القديس رداءه ومنطقته ودخل بين الحطب. ولما عزم الجنود على ربطه قال لهم "لا حاجه لى إلى قيودكم لأن الذى منحنى القوة لتحمل النار لابد أن يمنحنى أيضاً القوة للثبات فى النار" وقبل أن يدنو من النار صلى هذه الصلاة قائلاً: "إلهى وحبيبى أشكرك لأنك أوصلتنى إلى هذا اليوم السعيد حيث أوشكت أن أدخل إلى شركة شهدائك واشترك فى كأس ابنك لكى أُبعث إلى الحياة الخالدة. أقبلنى اليوم فى حضرتك ذبيحة مرضية"

ثم أضرم الجند النار فارتفع لهيبها ولكن بدون أن يمس جسده وصار كخيمة تظلل عليه وانتشر منه رائحة ذكية عطرة فلما عاين الوثنيون أن النار لا سلطة لها عليه اضطربوا فتقدم أحدهم مستلاً سيفه وضرب عنقه وأماته فجرى من جسده دم وافر حتى أطفأ النار فبهت كل الجمع.

المراجـــــــع

١ ـ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

٢ ـ شهداء وقديسون وعلماء كنسيون من إيبارشية بنى سويف

لنيافة الأنبا متاؤس.

٣ ـ مارجرجس أمير الشهداء وقديس كل العصور

لنيافة الأنبا فيلبس.

٤ ـ كوكب البرية القديس الأنبا أنطونيوس

بقلم القمص كيرلس الأنطونى (لمثلث الرحمات نيافة الأنبا باسيليوس).

٥ ـ جريدة وطنى لنيافة الأنبا غريغوريوس.

٦ ـ الإستشهاد فى المسيحية لمثلث الرحمات الأنبا يؤانس.

٧ ـ مجلة المحبة لنيافة الأنبا باخوميوس.

٨ ـ مخطوطة رقم ٦٥ تاريخ دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر.

٩ ـ اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس الكنيسة

للمتنيح القمص يوحنا سلامة.

١٠ ـ مجلة الإيمان لسنة ١٩٤٨ للقمص أيوب مسيحه.

١١ ـ الشهداء للمستشار زكى شنودة.

١٢ ـ مجلة الإيمان لسنة ١٩٤٨ بقلم الأستاذ ادوارد الذهبى.

١٣ ـ رسالة المحبة لسنة ١٩٤٨.

١٤ ـ رسالة الشباب الكنسى لسنة ١٩٨٧.

١٥ ـ رسالة صوت الراعى أكتوبر سنة ١٩٨٧

١٦ ـ جريدة وطنى للأستاذ مسعد صادق.

١٧ ـ مجلة الكرازة لسنة ١٩٩٠ للأستاذ عزيز غرباوى.

١٨ ـ الدليل إلى الكنائس والأديرة القديمة

إعداد قسم العمارة القبطية بمعهد الدراسات القبطية.

١٩ ـ جريدة وطنى بقلم سعد ميخائيل سعد.

٢٠ ـ رسالة الشباب الكنسى الدكتور مجدى عطية

الفهـــرس　　　　الصفحة



قيمة الإستشهاد تتزايد بالمغفرة

مما يزيد من القيمة الأبدية لآلام الشهيد.
المغفرة التى يطلبها من الله لقاتليه.
فالشهيد الذى انطبعت فيه صورة المسيح
يكون لسان حاله «مع المسيح صلبت»
وبالتالى تصدر عنه نفس
كلمات الغفران «يا أبتاه اغفر لهم
لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣:٣٤).
ومن جهة أخرى فالرؤيا السمائية التى يعلنها
الله للشهيد، ترفع قلبه فلا ينظر إل
الإضطهادات من زاوية الحقد الأرضى ب
من مستوى الغفران السمائى. وها نحن نلمس
هذا فى رؤيا إستفانوس للسموات مفتوح
ومجد الله معلناً له فصرخ من أجل راجمي
«يارب لا تقم لهم هذه الخطية» (أع ٧:٦٠)

مكتبة المحبة
٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ - ٥٧٧٧٤٤٨